



ثورة عاشوراء

الأشباب، الطرؤف، المنطلقات

إعداد لجنة الثقافة بـ

المجلس **القمي** الإسلامي

● اليمن، صنعاء | 1440هـ، 2018م ●

وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ
يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ
• وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ •
أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ

قرآن کریم / سورة التوبة - ۷۱

ثورة عاشوراء

الأسباب والظروف والمنطلقات



إعداد

المجلس الشوري الإسلامي

صنعا - 1440هـ

مُحْفَوظَةٌ جَمِيعُ أَحْقَاقِ

الطبعة الأولى

1440 هـ / 2018 م

تنسيق / عمار محيي الدين

تصميم الغلاف / محمد حسان الشامي



المجلس **الزيدى** الإسلامي

الموقع الإلكتروني: www.zaidiah.com

قناة التلغرام: <https://t.me/zmagls>

الفييس بوك: <http://www.facebook.com/AlMaglisAlZZaidiAlEslami>

الواتس أب: 775779445

بِسْمِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْمُلَقَّاتِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق،
والداعي إلى الحق، محمد بن عبد الله الصادق الأمين، وعلى آله الأكرمين،
وارض اللهم برضاك عن صحبه المنتجبين، ومن تبع هديّه إلى يوم الدين،
ثم أما بعد:

فالتاريخ هو سِفْرُ الإنسان الواسع، وهو صفحته التي يخط فيها أعماله،
إنجازاته وإخفاقاته، ووضع الحوادث التاريخية في إطارها الصحيح،
وضمن عناصرها وعواملها وأسبابها المؤثرة فيها، ثم الإفادة من ذلك في
إنتاج مواقف مشرفة مماثلة هو ثمرة دراسة التاريخ، وبدونه يصبح ترفاً لا
جدوى منه.

أسباب التأليف وأهميته

لظالما وقف اليمينيون والمسلمون جميعا عند ثورة عاشوراء، وتشوّقوا
لسماع أخبارها، لكن اليمينيين اليوم باتوا يعيشون تفاصيل عاشوراء اليومية،
من جهادٍ، وتضحياتٍ، واستشهادٍ، ومأسٍ، وبطولاتٍ، وصبرٍ جميل،
وثباتٍ كريم، وأصبح كل واحد فيهم يرى في نفسه أنه (حسينٌ كربلائيّه)

وهو يواجه طغيان وإجرام هؤلاء المتوحّشين من (اليزيديين) الجدد؛ وبدون شك فإن هذا الأمر زاد من ارتباطهم وانشدادهم وانتمائهم إلى الإمام الحسين والأحرار في تاريخ الأمة، وزاد من حاجتهم إلى التعرف على الإمام الحسين وثورته والتعمّق في الوعي بها، وبمنطلقاتها، وبعطاءات رجالها.

اليوم صار الإمام الحسين عليه السلام قبلة اليمينيين، يُيمّون وجهتهم نحو أخباره وصموده وثباته وشجاعته؛ باعتباره المُلهم الذي يستمدون منه - ومن ثباته وسموقه وانتصار دمه على سيوف الظالمين - ثباتهم وسموقهم وصمودهم وانتصارهم بإذن الله؛ ولهذا كانت الحاجة المعرفية مُلِحّة إلى كتابات وأبحاث تليقها، وتقرب الصورة التي كان عليها الإمام الحسين والظروف والمتغيرات التي شاركت في صناعة ذلك الحدث العاشورائي بشقيه: الإيجابي المتمثل في ما ظهر من دروس عاشوراء التليدة والأصيلة، والسّلبي المتمثل في كربلاء المأساة، والجريمة، والانحراف، والخذلان، والقطيع المستنقَر في صف الجزار.

- وبالنسبة لأحرار اليمن والعالم اليوم وهم يصرخون بصرخته المدوية في الآفاق وعلى مر العصور (هيهات منا الذلة)، فإنه لا أحد يُنكر أنهم بالفعل يشعرون أنهم يقفون في نفس المكان الذي وقف فيه الإمام

الحسين، وأنهم يَجِدُون في أعدائهم المعتدين الباغين المتوحشين المعاصرين أولئك البغاة المتوحشين المعتدين من بني أمية، وهم حين ينطلقون في واجبههم الجهادي مع اليمن وأهله، يشعرون وكأنهم يقاتلون مع الإمام الحسين عليه السلام، ويخافون إن قصرُوا في أعمالهم الجهادية أن يكون أمرهم أمر أولئك الذين خذلوا الإمام الحسين؛ وهذه سلطة التاريخ التي يجب أن تكون، حيث يشعر المرء أنها تعيدُ إنتاج رؤيته وسلوكه وتوجهاته وأعماله بالشكل الذي يتسق وثورة كربلاء الخالدة.

إن ذلك يقود إلى الاعتراف بالحاجة الماسة إلى وجود دراسات تاريخية جادة تقرأ واقع تلك الثورة بمنهجية أكاديمية تضع عناصر الحدث التاريخي المختلفة على مائدة واحدة على تناقضاتها واختلافاتها، وتحاول أن تُوجِد العلاقة التي تناسجت بينها لصناعة ذلك الحدث بتعقيداته وحلوه ومُره؛ لأن بهذا وحده يمكن استخلاص العبرة والعظة، ومن ثَمَّ يمكن إعادة إنتاج تلك المعرفة في رؤى صحيحة عملية، واتجاهات سلوكية واقعية، وموافق معاصرة مفيدة.

وفي كل ذكرى لثورة عاشوراء، يتجدد سؤال هام: لماذا خرج الإمام الحسين على ذلك النحو؟ وما هي الأسباب التي دعت له للمخاطرة بروحه؟ وما هي التطورات الفكرية والسياسية والاجتماعية التي رأى فيها موجبا

لخروجه؟ وما هي المرتكزات التي انطلق إلى الثورة من خلالها؟ وأية وضعية كان عليها المجتمع المسلم؟ وما هي طبيعة العلاقة بين ذلك المجتمع وبين تلك السلطة الأموية القائمة؟ وما أثر ذلك على ثورته عليه السلام؟ وكيف سُوح ليزيد وابن زياد وأضرابهم أن يجنوا على الإسلام بمثل تلك المأساة البشعة والخطيرة والتي لم يحدث مثلها حتى في الجاهلية؟

وكل تلك الأسئلة وغيرها كوّنت مشكل هذا البحث وموضوعه وهو يحاول أن يجد الإجابة التاريخية عليها.

وأما أهميته

- فإن هذا البحث يعتبر دراسة جادة ومنهجية يلبي الحاجة المعرفية والوجدانية والفكرية والثقافية لدى المجتمع اليمني وأحراره وأحرار العالم جميعا، ويأتي في ظرفٍ حرج، باعتباره دراسة هامة عن أخطر مراحل تاريخ المسلمين، التي شكلت تصوّراتهم، واتجاهاتهم إلى يومنا هذا، ومن الأهمية بمكان ووجود دراسات جادة تعطي الوعي الصحيح الذي ينبني عليه مواقف صحيحة واتجاهات صحيحة.

- وإذا اتضح أن الحاضر انعكاسٌ عن الماضي أو عن كيفية الفهم له والتفاعل معه في وضعيات كثيرة، وإذا تبين أيضا أن الثقافة الإيجابية هي

التي صنعت الأحداث والمواقف والرؤى والسلوكات الإيجابية، فإن من يتفاعل مع موقف الإمام الحسين وثورته وقيمه ومبادئه، نجده بالضرورة يمضي في الخط الحسيني إلى يوم القيامة، ومن يتفاعل مع موقف السلطة اليزيدية وقيمتها وأخلاقها فإنك بالضرورة تجده يقف اليوم مع من يمثلها من المعتدين الباغين، ورسمُ المشهد العميق للحادثة عن الموقفين يعطي مزيداً من الوعي المعمق، والبصيرة النافذة، والرؤية القويمة، التي بها قوامُ الحق، وأهلِهِ، وحتى تصحيح أيِّ انحراف قد يحدث في مسيرة الأحرار.

- كما أنه يُقدّم الدرسَ الخالدَ عن الطغاة الظالمين، والذين يمثلون اليوم الموقفَ الأمويّ اليزيدي، حيث يبيّن أن تلك الأسر التي تحكّمت في الأمة فكرياً وثقافياً وسياسياً وروّجت أنها لن تغادر ساحة الأمة السياسية إلا في صباح يوم القيامة، لكنهم ذهبوا إلى لعنة التاريخ في وقتٍ قصير، وأن الأحرار هم من ظلُّوا مصابيحَ دجى يترسّم نورهم الأحرار، ويستنبت مجدهم المؤمنون الأطهار.

كما أنه يتبين مقدار الجناية العظيمة، ونتائج التفريط الخطير، وفداحة البدائل السيئة والقاتلة لو ترك الناس التفاعل الممانع مع الظروف والأسباب والعوامل التي أنتجت الطغاة، وساعدتهم على التحكم بمصائر الأمم، فإن من لا يتورّع عن دم الإمام الحسين، فإنه بالضرورة لن يتورّع

عن دماء من هم أقل شأنًا، وفضلاً، وأن المصيبة حينئذ ستكون عامة على المجتمع المسلم.

هيكل البحث:

هذا هو الجزء الأول من ثورة عاشوراء، حيث يعالج الأسباب والظروف والعوامل والمنطلقات، التي ساهمت ودفعت إلى قيام تلك الثورة، وسيعقبه جزء ثانٍ يعالج وقائع الثورة ونتائجها وآثارها إن شاء الله. توزع هذا الجزء على:

- تمهيد، وتضمن ملخصاً عن حالة الدولة الإسلامية بعد مقتل الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، والتطورات والظروف التي سادت إلى عام الجماعة وصلاح الإمام الحسن عليه السلام ومعاوية.

- الفصل الأول: يزيد وولاية العهد، وقد اشتمل على:

1- نبذة عن يزيد بن معاوية.

2- الظروف الملازمة لأخذ ولاية العهد ليزيد.

3- إجراءات يزيد في بيعته بالخلافة.

- الفصل الثاني: الإمام الحسين عليه السلام وأسباب خروجه على

يزيد، وتضمن:

- 1- نبذة عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام.
 - 2- أسباب ومنطلقات الإمام الحسين في خروجه على يزيد.
- ثم الخاتمة، واشتملت على أهم النتائج التي توصل إليها البحث.

منهج البحث:

هو المنهج التاريخي القائم على البحث عن المعلومات في جميع مظان المعرفة التاريخية، والتثبت منها، والمقارنة، والتحليل، والتعليل لها، والترجيح في ما بين مختلفها، والاستنتاج المستند للدليل والقرينة. كما حاول الباحث أن يعيش روح ذلك العصر المؤرخ له بموضوعية وإنصاف.

وأما مصادره

فقد اعتمد البحث في معلوماته على مصادر أصيلة ومشهورة، واستأنس ببعض المراجع الحديثة في التحليل والتقييم، وكثير منها معروف بميوله نحو الأمويين، لكنه كان من باب (وشهد شاهد من أهلها)، ومع ذلك تمت معالجة الروايات المختلفة بحسب المنهجية التاريخية، على أن ما ورد في هذا البحث يعتبر نوعاً من القراءة التاريخية التي حاولت أن تكون الصورة الأقرب لذلك الواقع التاريخي في زمن الدراسة والبحث، فإن أصبت فتوفيق الله، وإن أخطأت فحسبي أنني بذلت جهدي

مبتغيا بذلك مرضاة الله، وإفادة القارئ العربي والمسلم بالمعرفة التاريخية الجادة، التي يُفترض أن تتحوّل إلى رؤية عملية، وسلوك فعلي، وممارسة واقعية، واتجاه تطبيقي، في المسار الذي يرضاه الله عنا، والله من وراء القصد.

تَهْيِئَاتُ

من استشهاد الإمام علي إلى صلح الإمام الحسن

استشهد الإمام علي بن أبي طالب سنة (40هـ/ 660م)، فبويع لابنه الإمام الحسن أميراً للمؤمنين في العراق، كما بويع لمعاوية بن أبي سفيان في إيلياء⁽¹⁾ في نفس الوقت أميراً للمؤمنين أيضاً⁽²⁾، فانتقل الصراع إليهما، وكان معاوية قد كتب إلى عماله بالنواحي كتاباً قال فيه: «إن الله بلطفه وحسن صنعه أتاح لعلي بن أبي طالب رجلاً من عباده، فاغتاله، فقتله، فترك أصحابه متفرقين مختلفين، وقد جاءتنا كتبٌ أشرفهم وقادتهم يلتمسون الأمان لأنفسهم وعشائرهم...»⁽³⁾.

إن هذه الوثيقة الرسمية تشير بوضوح إلى أن بعضاً من القيادات في جبهة أهل العراق قد راسلت معاوية، وأنه استطاع بكيده وماله اختراق جبهة الإمام الحسن، في الوقت الذي كانت جبهته موحدة وقوية، وقد حنكته التجارب والخبرة الطويلة في التأثير على الناس، وتمرس في سياسة

(1) بيت المقدس.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 164، 165.

(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 69، وحمادة: الوثائق السياسية ص 95.

الخداع والمَلَق والترغيب والترهيب، بل كان كل ما يدور في العراق يصله عبر عيونهم الذين دَسَّهَم في العراق⁽¹⁾، ومن المعروف أن معرفة المرء لعورات خصمه يُكسبه قوة في الموقف، وبدائل أكثر في الخيارات. وعلى الرغم من أن الإمام الحسن عليه السلام استطاع بعد ذلك تجييش كتائب كثيرة لمقارعة معاوية⁽²⁾، وبعث جيشاً مُكوَّنًا من اثني عشر ألف مقاتل مقدِّمة لاحتباس معاوية بعيدا عن الكوفة حتى يأتي الحسنُ وبقية الجيش، غير أنه - وهو في طريقه للحاق بجيشه - وصل إلى ساباط المدائن⁽³⁾، فسرت شائعة - لم يتضح مصدرها - مفادها أن قيس بن سعد قد قُتِل، فوثب بعضُ الناس عليه، وانتهبوا حتى مصلاه من تحته⁽⁴⁾، ثم لما مرَّ في مظلم ساباط طعنه أحدُهم في فخذه بمعولٍ فشقه، ولولا دفاع أنصاره

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 62، وحمادة: الوثائق السياسية ص 88.

(2) البخاري: الجامع الصحيح 2/ 962 رقم 2557.

(3) الساباط عند العرب سقيفة بين دارين من تحتها طريق نافذ، وساباط هذا بالقرب من

المدائن يعرف بساباط كسرى. (ياقوت: معجم البلدان 3/ 166).

(4) ابن حجر: الإصابة في تمييز الصحابة 2/ 72، وينظر الطبري: تاريخ الأمم

والملوك 3/ 165.

عنه لكان قد قُتِل، فحُمِل على سرير إلى المدائن، وأقام هناك يعالج جرحه⁽¹⁾.

وبلغ ذلك معاوية، فأمر بإذاعة تلك الأخبار، فجعل أصحاب ابن العباس يتسللون إلى معاوية، وأبلغ الحسن أن بعضا من أصحابه قد راسلوا معاوية⁽²⁾؛ ففتت ذلك في عضده، وأضعف من معنويات أصحابه، ثم ما لبث أن لحق بأولئك أمير جيشه، عبيدالله بن العباس، حيث انسل ليلا إلى معاوية بعد أن وعده بألف ألف درهم (مليون درهم)⁽³⁾، وأرسل معاوية وفدا إلى الإمام الحسن، يدعونه إلى المواقعة ويزهّدونه في الأمر، وأعطوه أن لا يعاقب أحدٌ بما مضى من حروبٍ وأحداثٍ سابقة، وألا يُنال أحدٌ من شيعة أبيه بمكروهٍ، وألا يُذكر أبوه أيضا إلا بخير، وأشياء أخرى⁽⁴⁾.

ويبدو أن معاوية كان قد أرهق جبهة الإمام الحسن بالدعايات الإعلامية المضادة، وشنّ عليهم حربا نفسية مدروسة، وكان يوهّم أصحاب الحسن

(1) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 71-72، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 694.

(2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 691.

(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 73.

(4) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 74-75، واليعقوبي: التاريخ 2/ 215.

عليه السلام أن إمامهم قد جنح للصلح، ولما رجع الوفد الأموي من عند الحسن ذهبوا يبشرون هذه الأخبار⁽¹⁾، وكان لها أثرها في إضعاف جبهة العراق المنفككة أصلاً.

أخيراً رأى الحسن أن ليس بمقدوره مواجهة معاوية لتفوقه عسكرياً وإعلامياً واقتصادياً، ولتوحد الشاميين وتفرق العراقيين، لا سيما بعد أن انتهبوا متاعه وحاولوا قتله، ورأى أنه من الأفضل المودعة حقناً للدماء، وقد برّر الحسن الصلح مع معاوية بقوله: «إنه سخي بنفسي عنكم يا أهل العراق ثلاث: قتلكم أبي، وطعنكم إياي، وإنهابكم متاعي»⁽²⁾.

في ذلك الصراع "كان في انتظار الإمام الحسن عليه السلام ثلاثة سيناريوهات، إما خيارُ الحرب، ثم الهزيمة المرجح وقوعها، بحسب المعطيات الميدانية القائمة، والتي سوف تسحق أهل البيت سلام الله عليهم، وتسحق شيعتهم في ظرفٍ سيئٍ جداً، من حيث أن معاوية كان لا يزال أمره مستوراً، فلم يكن قد ظهر بمخالفاتٍ كثيرة على الأمة، ولا يعرف فجوره إلا القلة القليلة، وقد دعا إلى الصلح، وبذل فيه استجاباتٍ مهمة

(1) اليعقوبي: التاريخ 2/ 215، والأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 73.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 165، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد 1/ 139، والمزي: تهذيب الكمال 6/ 245.

جدا، وقد أشاع بين المعسكرين أنه يمدُّ يدَ الصلح، وأنه لا يريد الحرب، وأنه مع السلام وحقق الدماء، ولعب لعبة ماكرة مَصَّتْ في عقول الناس، وتردّدت في أقوالهم، فحين يُصِرُّ الإمامُ الحسن عليه السلام على الحرب التي يعلم سلفا أنها خاسرة إنما يُعْتَبَرُ ضَرْبًا من الانتحار الذي لا يمكن لأحد أن يتعاطف معه، وقد صوّره معاوية بصورة الباغي المستقيل، وأرَجَّحُ أن معاوية سيصل إلى روجه سريعا من خلال تجنيد أهل الأطماع والذين ظهروا كثيرا في الجيش العراقي، وبهذا يكون دم الإمام الحسن وشيعته قد طُلَّ في معركة خاسرة يقل أن يتعاطف معه أحد فيها.

السيناريو الثاني هو الانسحاب وترك المعركة مفاجأة، بدون توضيح موقف، وهذا أيضا - من وجهة نظري - سوف يجعل سيفَ معاوية مُصَلِّتا على رقاب الشيعة والعراقيين ومن شاركوا في حرب صفين، إنه سيدخل إلى العراق بدون مقاومة فعلية ولا أخلاقية متمثلة في صلح مثلا، فيعيث فيه فسادا، وستكون دماء الجميع هدرا، حيث يعني ذلك أن بلادهم فُتِحَتْ عُنوة، وأنهم لا زالوا متمرّدين، وسوف لن يَفْلِتَ الحسنُ وأهل بيته من العقوبة، ولو بتدبير عملية اغتيالٍ أو قتلٍ لن يعدم الطريقَ إليها عقلُ معاوية المتفتن في هذا المجال.

السيناريو الثالث هو الدخول في مفاوضات الصلح بالبنود التي تضمن الحصول على مجموعة من المكاسب المعنوية، التي تضمن في أساسها ونتائجها أن تعرّي معاوية أمام الجماهير المسلمة، مقابل ترك الحرب والموادعة التي لا بد منها، وهذا الخيار هو ما دخل فيه الإمام سلام الله عليه.

جدير بالذكر أن معاوية كان حينها لا زال يتظاهر بالصلاح وحفظ مصالح المسلمين، وكان يتستر بالخطاب الديني، ويتظاهر بنصرة الدين والإسلام، ويشرح أنه في كل تحركاته إنما ينطلق من الإسلام ومبادئه.

ثم إن الحسن عليه السلام رأى أن هذه الأمة التي خذلت وأسلمته إلى عدوها لا زالت بحاجة إلى مزيد من دروس اليقين، حيث تعيش حالة من الشك العميق، الذي يجعل اللامبالاة سلوكها، والتعامل ببرودة مع نصوص الإسلام الآمرة، ومبادئه العادلة؛ ولهذا أثر السيناريو الثالث لتدخل هذه الأمة مرحلة اليقين وتنتقل من حالة الشك لترى ما الذي سيفعله معاوية بعد عقد هذه الهدنة، هل سيفي بما فيها من شروط، أو سيرمي بها عرض الحائط، ومن ثم يتبين لكل مخدوع أن الرجل لا هم له

سوى المال والأمر والنهي، ومن هنا يسقط تظاهره بالشريعة بطريقة لا مواربة فيها"⁽¹⁾.

لقد تضمّن الصلحُ شروطاً انتصر من خلالها الإمام الحسن عليه السلام معنوا، فقد نصّ بأن يكون الأمر لمعاوية مدة حياته على أن يحكم بكتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وآله وسلم، ثم يصير الأمر بعده للحسن، فإن حدث به حدثٌ فللحسين عليه السلام، وليس لمعاوية أن يعهد بالأمر لأحدٍ من بعده، وأن يكون خراجُ (دارابجرد)⁽²⁾ للإمام الحسن عليه السلام يوزَّع لأيتام شهداء الجمل وصفين، وذلك يدل على أن الحسن عليه السلام أراد من وراء هذا الشرط أن معاوية ليس إماماً شرعياً، من حيث أن هذه المنطقة إنما فتحت صلحاً⁽³⁾، وأن التصرف في البلدان التي فتحت صلحاً للإمام، بخلاف البلدان التي فتحت عنوة، فهي في تصرف المقاتلين

(1) ينظر: قراءة شرعية وتاريخية في صلح الإمام الحسن عليه السلام، لحمود عبدالله الأهنومي - خ -

(2) دارابجرد) ولاية بفارس على حدود الأهواز. وجراد أو جراد: هي البلد أو المدينة بالفارسية القديمة والروسية الحديثة، فتكون داراب جرد بمعنى (مدينة داراب).

(3) البلاذري: فتوح البلدان 2/ 487.

الذين فتحوها، وهم مَنْ عليهم أن يتحرّكوا لإحقاق الحق فيها، ثم في التذكير بشهداء صفين والجمل الإشعار بخطأ موقف معاوية، وصحة موقف الإمام علي عليه السلام؛ ما يحتّم على المسلمين مراجعة حساباتهم⁽¹⁾.

عُقِدَ الصلحُ في جمادى الأولى من سنة 41هـ كما نقل ابن عبد البر عن جمهرة أهل النقل⁽²⁾، لكنه وإن وافق معاوية على بنود ذلك الصلح، وهي ثقيلة جدا، لكنه اعتبرها لغوا من أول يوم، لقد قبل بها وهو مضمرٌ للنكث والخلف، ولهذا ما إن حطّت رجلاه (النخيلة) من أرض (الكوفة) حتى سَمِعَ وهو يقول: "كل شرطٍ أعطيتُه لـ(الحسن) فهو تحت قدمي هاتين"⁽³⁾. وبناء على ذلك صار معاوية خليفة على المسلمين، وكان ذا دهاءٍ وتجربة ومكر، باذلا للمال، محبباً للرياسة مشغوقاً بها، ولا يزال أشرافُ

(1) ينظر في بنود الصلح كتاب (صلح الحسن) لراضي آل ياسين، ومصادره التي استند إليها في نصوص الصلح.

(2) الاستيعاب 1 / 387.

(3) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 48.

قريش يفدون عليه بدمشق، فيكرم وفادتهم، ويحسن قراهم، ويقضي حوائجهم، ولا يعيدهم إلا بالصّلات الجَمّة والعطايا السنية⁽¹⁾.
 وذهب الحسنُ وأهلُه إلى المدينة، وقضى بقية عمره فيها إلى أن وافاه الموت، وقد تظافت المصادر على أنه مات مسموما⁽²⁾، ومنها ما صرّح أو لوّح بتوجيه أصابع الاتهام لمعاوية بأنه هو الذي دسّ السم لزوجته الحسن جعدة بنت الأشعث الكندية؛ وذلك من أجل التخلص من أكبر عقبة تقف في سبيل طريق يزيد بن معاوية إلى تسنّم ولاية العهد.

(1) ابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص 104-105.

(2) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 81، والمسعودي: مروج الذهب 5/3، وانظر ابن عبد البر: الاستيعاب 1/389، وابن الأثير: أسد الغابة ص 261، والمزي: تهذيب الكمال 6/252، وابن كثير: البداية والنهاية 8/43، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 13/382، 383.

الفصل الأول يزيد وولاية عهده

1- نبذة عن يزيد بن معاوية

لقد كان من الطبيعي أن يشتغل معاوية بمن يخلفه على عرش الدولة التي ضحّى في سبيل توطيد أركانها بالغاللي والرخيص، وبالدماء والأموال، وبالوقوف أمام كبار الصحابة وعلى رأسهم الإمام علي عليه السلام، وانتزعتها من بين أيّاب الحرب الضروس بمكره ودهائه، وبسيّفه وماله، ومع إقرار بعض الصحابة للوضع الذي وصل إليه، إلا أن بعضاً منهم كان يُظهِر اعتراضه وامتعاضه بين الفينة والأخرى، وقد دخل سعد بن أبي وقاص على معاوية ولم يخاطبه بإمرة المؤمنين، بل قال له: «السلام عليك أيها الملك»⁽¹⁾.

حينها أقر معاوية أنه لولا هواه في يزيد وفي مسألة خلافته له لأبصر طريقه⁽²⁾، فبدأ بترويض الناس على بيعة يزيد منذ وقت مبكر بعد أن استقامت له الأحوال، وهذا يقودنا إلى التعرف على يزيد، فمن هو يزيد؟.

(1) ابن الأثير: الكامل في التاريخ 3/ 275.

(2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 65/ 395.

لا يحظى يزيدُ لدى المصادر التاريخية بصفة عامة بأيِّ قدرٍ أو فضلٍ؛ فقد نقل اليعقوبي⁽¹⁾ سببَ اعتراض المعترضين على بيعته بأنهم قالوا: «نبايع من يَلْعَبُ بالقرود والكلاب ويشرب الخمر، وَيُظْهِرُ الفسوقَ، ما حجتنا عند الله؟!»، كما روى على لسان زياد والي العراق - لما أمره معاوية بأخذ البيعة ليزيد أنه قال: «فما يقول الناس إذا دعوناهم إلى بيعة يزيد، وهو يلعب بالكلاب والقرود، ويلبس المصنغ، ويُدْمِنُ الشرابَ، ويمشي على الدفوف، وبحضرتهم الحسين...، ولكن تأمره يتخلَّق بأخلاق هؤلاء حولاً أو حولين فعسينا أن نموّه على الناس...»⁽²⁾.

وقد أورد المسعودي أن يزيد «كان صاحبَ طرب وجوارحٍ وكلاتٍ وقرودٍ وفهودٍ ومنادمةٍ على الشراب»، وأنه جلس ذات مرة على شرابه، وعن يمينه ابن زياد، وذلك بعد قتل الحسين عليه السلام، فأقبل على ساقيه، فقال:

اسقني شربة تُروِّي مشاشي ثم مل فاسقٍ مثلها ابن زياد
صاحبَ السر والأمانة عندي ولتسد يد مغنمي وجهادي

(1) التاريخ/2/228.

(2) التاريخ/2/220.

ثم أمر المغننين فغنّوا به، وكان له قِرْدٌ يَكْنَى بِ(أبي قيس) يُخَضِرُهُ مجلسَ منادمته، ويطرح له مُتَكِّئًا، وكان يحمله على أتانٍ وحشيةٍ قد رُبِّضَتْ وَذُلَّتْ لذلك بَسْرَجٍ ولجام، ويُسَابِقُ بها الخيلَ يوم الحَلَبَةِ، وكان يُلبَسُ قردَه ذاك الفروَ قباء من الحرير ذات الألوان، ويُلبَسُ تلك الأتانَ سَرَجًا من الحرير الأحمر منقوشًا وملمّعا بأنواعٍ من الألوان⁽¹⁾.

وفي كتب الرجال من المحدثين لم يكن يزيد لديهم أهلا لرواية الحديث، وقال فيه ابن حجر العسقلاني: «مقدوحٌ في عدالته، وليس بأهلٍ أن يُروى عنه»، وقال أحمد بن حنبل: «لا ينبغي أن يُروى عنه»، وذكروا أن عمر بن عبد العزيز ضرب رجلا عشرين سوطا بسبب تلقيه ليزيد بأمر المؤمنين⁽²⁾.

(1) المسعودي: مروج الذهب 3/77، وقد روى ابن كثير زيادة على ما ذكره المسعودي من قبيل هذه الأخبار عن يزيد، لكنه قال في آخرها تشككا: والله أعلم بصحة ذلك. (البداية والنهاية 8/235-236).

(2) ابن حجر: تقريب التهذيب 1/605، ولسان الميزان 6/293، 294، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص 182.

ويُوردُ الطبري على لسان زياد لما استشاره معاوية في البيعة ليزيد أنه قال: «إن يزيدَ صاحبُ رَسَلَة [كسل] وتهاوُنٍ مع ما قد أُولِعَ به من الصيد»، وأنه ذو فعلات وذو هنات تُنقَمُ عليه، كما روى أن زيادا دَبَّرَ مع مستشارٍ له أن يقوموا ببعض الترتيبات ليكفَّ يزيدُ عما كان يصنع حتى لا يخالف الناس في بيعته⁽¹⁾.

ويروي الطبري أيضا في أسباب ثورة أهل الحرة أن وفداً مكوناً من أشرف المدينة وفدوا على يزيد سنة (62هـ/681م)، بعد مقتل الإمام الحسين عليه السلام، وكان على رأس ذلك الوفدِ عبدالله بنُ حنظلة بن أبي عامر الأنصاري (ابن غسيل الملائكة)، وعبدالله بنُ أبي عمرو بن حفص المخزومي، والمنذر بن الزبير الأسدي، فأكرمهم يزيد وحباهم بالصلوات والجوائز، وقد أعطى عبدالله بن حنظلة - وكان شريفاً، فاضلاً، وسيداً عابداً - مئة ألف درهم، كما أعطى أبناءه الثمانية كل واحدٍ عشرة آلاف درهم سوى كسوتهم وحملائهم⁽²⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 248.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 350، 359. والحُمَلان: هي الدواب التي تحملهم.

لكنهم ما إن عادوا إلى المدينة حتى أظهروا عيبَ يزيد والطعن فيه، وقالوا: "إنا قدّمنا من عند رجلٍ ليس له دين، يشرب الخمر، ويعزف بالطنابير، وتضرب عنده القيان، ويلعبُ بالكلاب، ويسمُر عنده الخراب" أي اللصوص⁽¹⁾؛ لهذا اجتمعوا عند المنبر النبوي وأشهدوا الناسَ على خلعهم يزيد⁽²⁾.

أحد قادة تلك الحركة، وهو عبد الله بن حنظلة الأنصاري، وكان خيراً فاضلاً مقدّماً في الأنصار⁽³⁾، لما أسند أهل المدينة أمرهم إليه في مقاومة الجيش الأموي وبايعوه على الموت، قام فيهم وقال: "يا قوم اتقوا الله وحده؛ فوالله ما خرجنا على يزيد حتى خفنا أن نُرمَى بالحجارة من السماء، إن رجلاً ينكح الأمهات والبنات والأخوات، ويشرب الخمر، ويدعُ الصلاة، والله لو لم يكن معي أحدٌ من الناس لأبليتُ لله فيه بلاءً حسناً"، فتواثب الناسُ يباعدونه من كل النواحي⁽⁴⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 350، وابن الأثير: الكامل 2/ 186.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 350-351، وابن الأثير: الكامل 2/ 186.

(3) ابن عبد البر: الاستيعاب 3/ 894، وابن سعد: الطبقات الكبرى 5/ 67.

(4) ابن سعد: الطبقات 5/ 66، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 27/ 429، والسيوطي:

وروى المبرّد⁽¹⁾ أن " معاوية استمع ليزيد ذات ليلة فسمع من عنده غناء فأعجبه، فلما أصبح قال ليزيد: من كان مُلهيك البارحة؟ فقال يزيد: ذاك سائب خاثر [اسم المغني]، قال: إذا فأختر [أي أكثر] له من العطاء".
وقد سُجِّلَ للتابعي الشهير الحسن البصري (ت 110 هـ / 728 م) موقفٌ قوي ضد معاوية؛ إذ قال: «أربعُ خصالٍ كُنَّ في معاوية، لولم تكن فيه إلا واحدة لكانت موبقة: انتزأؤه على هذه الأمة بالسيف حتى أخذ الأمر من غير مشورة، وفيهم بقايا الصحابة وذوو الفضيلة، واستخلافه بعده ابنه سَكِّيرا حَمِيْرا، يلبس الحرير، ويضرب بالطنابير⁽²⁾، وادعاؤه زيادا، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الولد للفراش وللعاهر الحجر)⁽³⁾،

تاريخ الخلفاء ص 182، والذهبي: تاريخ الإسلام ص 564.

(1) المبرّد: الكامل في اللغة والأدب 1/ 392.

(2) جمع طنبور وهو آلة من آلات الطرب. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط 1/ 292.

(3) هو من الأحاديث المتلقاة بالقبول بين الأمة، وممن أخرجه البخاري، ومسلم، وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه عن عائشة؛ وعبد الرزاق، وأحمد، والبخاري، ومسلم، والترمذي، والنسائي، وابن ماجه عن أبي هريرة؛ وأحمد، وأبو داود، والعدني، وأبو يعلى، والطحاوي، والضياء عن عمر؛ وابن ماجه عن أبي أمامة؛ وأحمد، والطبراني، وتمام، وابن عساكر عن وثالة؛ والطبراني، والحاكم عن عبد الله بن حذافة؛ والطبراني

وقتلُه حجرا [ابن عدي الكندي] وأصحاب حجر، فيا ويلا له من حجر،
ويا ويلا له من حجر وأصحاب حجر⁽¹⁾.

ولا يذهب بعيدا عن تلك الصورة المؤرّخون المشاهير الذين لا
يُتهمون بتعصّب على معاوية؛ فابنُ عساكر يروي حادثة جلوس يزيد على
شرابه في المدينة لما حجّ بالناس في خلافة أبيه، ولما دخل عليه الإمام
الحسين عليه السلام، لم يميّز رائحة الشراب المعتكّرة برائحة الطيب؛ مما
دعا يزيد لأن يستزيد من شرابه، فدعا بآخر ثم بآخر، وأنشد يزيد أبياتا منها:

ألا يا صاح للعجب دعوتك ثم لم تجب
إلى القينات والشهوات والصهباء والطرب

... إلخ⁽²⁾.

ولما أزمع رأي معاوية على البيعة ليزيد بالعهد أشار زياداً بأن لا بُدَّ من
تأهيل وتدريب ليزيد سابقين للبيعة؛ ولهذا نجد أمرا من معاوية ليزيد،
أورده المؤرخان ابن عساكر وابن كثير قالا: «كان يزيد صاحب شراب يأخذ
مأخذ الأحداث، فأحس معاوية بذلك، فأحب أن يعظه في رفق، فقال: يا

عن ابن عباس. ينظر الجامع الكبير للسيوطي، حديث رقم (10927).

(1) ابن الأثير: الكامل 3/337.

(2) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 65/403.

بنيّ ما أفدرك على أن تصير إلى حاجتك من غير تهتكٍ يذهب بمروءتك
وقدرك، ثم قال: يا بنيّ إني مُنشدك أبياتا فتأدّب بها واحفظها، فأنشدّه:

انصبّ نهارك في طلاب العلى واصبر على هجر الحبيب القريب
حتى إذا الليل أتى بالدجى واكتحلت بالغمض عين الرقيب
فباشر الليل بما تشتهي فإنما الليل نهار الأديب
كم فاسق تحسبه ناسكا قد باشر الليل بأمر عجيب
غطى عليه الليل أستاره فبات في أمن وعيش خصيب
ولذة الأحمق مكشوفة يسعى بها كلّ عدوّ مُريب⁽¹⁾

قال ابن كثير معلقاً على هذه القضية: "وهذا كما جاء في الحديث: (من
ابتلي بشيء من هذه القاذورات فليستتر بستر الله عز وجل)".

وكان يزيد مع ذلك شاعراً، فصيحاً، وكان أبوه يُفضّله على ولده الآخر
عبدالله؛ إذ كان لا يُعنى بأمر السياسة لا من قريبٍ ولا من بعيدٍ، وقد طلب
معاوية منهما أن يتمنيا عليه، فتمنى عبدالله من أبيه مالا وأرضاً، بينما سأل
يزيد أباه أن يُعته من النار بأن يعهد إليه من بعده؛ مدّعياً أنه وجد في الأثر:

(1) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 65 / 403، وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 228.

(أن من تقلد أمر الأمة ثلاثة أيام حرمه الله من النار)⁽¹⁾، وهو أمرٌ يكشف طبيعة الثقافة الخاطئة والمستهترة بالدين، والتي كان معاوية وحكومته يغرسونها في عقول ذويهم والذين من حولهم.

ومهما يكن الأمر فتلك هي الصورة التي رسمتها المصادر التاريخية لشخصية يزيد، وكثير منها معروف بميوله الأموية، وقد بينت تلك المصادر مجتمعة أن شخصية يزيد كانت سيئة جدا، بل وكشفت أحداثه في كربلاء والحرّة وحرّق الكعبة عن انحراف خطير وكبير عن الإسلام، في عصرٍ قريبٍ جدا من العهد النبوي وما امتاز به من طهارةٍ والتزامٍ مثالي.

2- الظروف الملايسة لأخذ ولاية العهد ليزيد

من المهم التعرف على الظروف التي رافقت أخذ معاوية البيعة من مواطني دولته بولاية العهد لابنه يزيد، لما لذلك من أثر على الحكم على تلك البيعة قوة وضعفا، وعلى مدى توافقها مع الإرادة الحرة للجماهير.

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 8/230، 231، وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 65/400، وآخر شطر فيه: (يُشْفَى بها كل عدو غريب).

استقامت الأمور لمعاوية بعد عام الجماعة، معتمداً في المقام الأول على مواهبه في السياسة والخداع، بالإضافة إلى صناعة العلاقات الاجتماعية المفيدة لدولته والتي أتقنها بشكل جيد، وبرع في استقطاب الأنصار والحلفاء، وإضعاف الخصوم والإيقاع بينهم⁽¹⁾، ولم يكن يتورع عن اتخاذ بعض الإجراءات السياسية الهادفة إلى تعزيز سلطته بأقل الخسائر الممكنة، وإن كان فيها ما يخالف الشريعة بشكل سافر، مثل حادثة استلحاق زياد، والتي رأى فقهاء المسلمين أنها ردٌّ لما عُلم قطعاً أنه من الدين.

ومن المؤكّد أن معاوية اتخذ في مساره التنظيمي للدولة الإسلامية شكلاً انقلابياً، حيث انقلب بنظام الخلافة إلى نظام (المُلك العضوض)⁽²⁾، كما لم تعد تلك البساطة وتلك المثاليات التي التزمها المشائخ الثلاثة قبله ظاهرة في حكومته، ولعل هذا التحوّل في تقاليد الحكم مرتبطٌ أولاً بقناعات معاوية نفسه حول الدين، والالتزام به، ثم بالعامل الجغرافي حيث

(1) بيضون: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري ص 147.

(2) أي يصيب الرعية فيه عسف وظلم، كأنهم يُعضّون فيه عضاً.

عاش معاوية مع بداية حركة الفتوح على تخوم الدولة البيزنطية بعيدا عن بساطة شبه الجزيرة العربية و عفوية الحياة الاجتماعية فيها⁽¹⁾، وكان لا يفتأ عن الاطلاع على سير الملوك والأوائل وأنواع سياساتهم في كل ليلة من لياليه⁽²⁾.

تمسك معاوية بالمظاهر الدنيوية المعقدة، وكان يسمي نفسه بـ(المَلِك)، وكان يقول: «أنا أول الملوك»⁽³⁾، وتتطابق حياته السياسية مع هذا التوصيف إلى حد كبير، فنجده يؤثّر الإقامة في قصره (الخضراء) الذي تميّز بكل عادات الملوك من العرش، إلى الحرس، إلى الحُجّاب، إلى المحراب، الذي كان أشبه بمقصورة خاصة في المسجد، تَعزّل الخليفة (الملك) عن بقية المصلين⁽⁴⁾.

(1) بيضون: ملامح التيارات السياسية ص 148.

(2) المسعودي: مروج الذهب 3/ 41.

(3) ابن عبد البر: الاستيعاب 3/ 1420، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 59/ 177، وابن

كثير: البداية والنهاية 8/ 125.

(4) بيضون: ملامح التيارات السياسية ص 148.

ومن الواضح أنه استولى على الحكم في ظروفٍ غيرٍ طبيعية؛ إذ أنه استثمر دم الخليفة عثمان، واستطاع بقوة دهائه التغلّب على خصومه، وأنته السلطة عن طريق المال والسيف والنفوذ والجاه، لكنه وضع تلك الأدوات تحت خدمته، فكان لا يُحضِرُ السلاحَ الأقوى مع نجاعة الأليّن⁽¹⁾.

وبسبب الطابع الملكي للدولة الأموية في عهد مؤسسها الأول معاوية فإن شيئاً خطيراً كان يشغل بال معاوية، وكان بحاجة إلى مزيد من الوقت لإيجاد حلول له، وذلك هو مسألة من يخلفه على العرش.

لقد ابتدع معاوية نظاماً جديداً بديلاً عن نظام الخلافة، على ما فيه من عيوب، ألا وهو نظام (الملك العضوض) وهو النظام الوراثي حيث يرث الابن أباه، وبهذا انقلب على مفاهيم الإسلام وتصوراته حول الحكم؛ وذلك بإعلانه البيعة لابنه يزيد خليفة من بعده، وحمّله الناس على ذلك، وتحديده لأناسٍ أجدرَ منه بالخلافة⁽²⁾.

استدعى معاوية أعيان الأمصار إلى مؤتمر جامع من أجل بيعة يزيد، فأعلن الخطباء المقربون منه وبإشارةٍ منه عن محبتهم لتولية يزيد ولياً للعهد، حتى لا تفترق الأمة، وأنهم رأوه «حسنَ المذهب وميمونَ النقيبة،

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 125، نقلاً عن ابن كثير في البداية والنهاية 8/ 132.

(2) النجار: تاريخ العالم الإسلامي، الدولة الأموية في الشرق ص 68.

وقسم الله له المحبة في المسلمين، والشَّبهَ بـ(أمير المؤمنين)، أبيه، في عقله وسياسته وشيمته المرضية، وأنهم قد عرفوا صدقَ لسانه ووفائه وحسن بلائه، وطلبوا من معاوية أن يوليَّهم يزيدَ كما اختار لهم؛ فإنه أقطعَ لقالة الكلام، ونخوة الباطل، وألمَّ للشعث، وأسهلَ للوعث⁽¹⁾، إلى آخر ما رده خطباء البلاط أولئك من المعاني التي تدور حول هذا المعنى⁽²⁾.

لقد فنَّد رئيسُ جامعة الأزهر⁽³⁾ تسييبَ اختيار ابنه وليا للعهد بـ"حرص معاوية على جمع كلمة الأمة"، بقوله: «ونعتقد أن معاوية كان يمكنه أن يطمئنَ في حياته على اجتماع كلمة المسلمين في أمر الخلافة من بعده باختياره واحدا من قريش، يشهدُ له الناسُ بحسن السيرة أكثرَ من يزيد ابنه»، وأنه «أعلن البيعة لابنه، والسيوفُ مُصلَّتة على الرقاب، بل ربما كان معاوية يجدُ في بني أمية أنفسهم مَنْ هم أقربُ إلى قلوب الناس من يزيد، ولو أنه اختار واحدا منهم للخلافة لوجد قبولا أكثر، ولخلصَ الناسُ من هذا النظام الكسروي الذي أصبح سنةً للخلفاء من بعده».

(1) الوعث: الطريق العيسر.

(2) حمادة: الوثائق السياسية ص 131-136.

(3) د. الطيب محمد النجار في كتابه تاريخ العالم الإسلامي ص 69.

وخلص سيّد قطب⁽¹⁾ إلى أن أساس بيعة يزيد أساس لا يعترف به الإسلام، وأن مصير الخلافة الإسلامية (ملكا عضوضا) في بني أمية لم يكن من وحي الإسلام، بل من وحي الجاهلية الذي أطفأ إشراقه الروح الإسلامي، وأنه «أيا ما كان الأمر فإن أحدا لا يجروء على الزعم بأن يزيد كان أصلح المسلمين للخلافة، وفيهم الصحابة والتابعون، وإنما كانت المسألة وراثّة المُلْك في البيت الأموي، وكان هذا الاتجاه طعنة نافذة في قلب الإسلام، ونظام الإسلام، واتجاه الإسلام».

واعتبر الشيخ محمد الغزالي مبايعة يزيد التواء برسالة الله، وتسويدا للصعاليك، نتجت عن سوء تقدير المعاصرين لذلك الحدث، حيث يقول: "ولو كانت تولية يزيد كبوة جواد حدثت من سوء اختيار المسلمين لأميرهم إثر خلل حدث في الأساليب المشروعة لوجب اغتفارها، أما والأمر أخطر من ذلك، أما والأمر التواء برسالة جاءت رحمة للعالمين، واحتيالاً على تسويد أعراب من صعاليك الجزيرة ليكونوا باسم الإسلام ملوك العالمين... فهذه قاصمة الظهر. ولو أن المسلمين الفضلاء الذين

(1) في كتابه العدالة الاجتماعية في الإسلام ص 154، 155.

عاصروا هذه الأحداث الهائلة قدّروا فداحة النتائج التي تمخّضت عنها، ولحقت بصميم الإسلام من جرائها - لسفكوا دماءهم في الحيلولة دون وقوعها، ولكنهم ظنوها فلتة متداركة⁽¹⁾. ورأى أن يزيد "شابٌ خليع لا يصلح أن يلي أمر مدرسة ابتدائية، بله أن يقفَ على منبر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم"⁽²⁾.

ومن المؤكد أن معاوية انساق لأحلامه العائلية القرشية، وغلبت عليه عاطفة الأبوة، وقد أقرّ هو بأن بيعته ليزيد كانت عاطفةً هوى أب لابنه، قائلاً: «لولا هواي في يزيد لأبصرتُ طريقي»، وتوقع أن لا تصلح الأمور له بعد موته⁽³⁾، ثم حدث ما توقعه من ثورة الإمام الحسين، وأهل الحرّة، وابن الزبير على يزيد ولده.

وذكر بعض المؤرّخين⁽⁴⁾ أن سببَ ولاية العهد ليزيد هو المغيرة بن شعبه الذي أراد معاوية عزّله عن الكوفة، لكنه أنقذ فكرة عزله بإثارة موضوع ولاية العهد لدى يزيد الذي أوصل الفكرة إلى أبيه فأعجبته، فسأل

(1) الغزالي: الإسلام والاستبداد السياسي ص 165، 166.

(2) المرجع نفسه 165.

(3) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 65/395.

(4) ابن الأثير: الكامل 3/349، 350.

المغيرة عن الطريق إلى ذلك فقال له: «أكيفك أهل الكوفة، وكيفك زياداً أهل البصرة، وليس بعد هذين المصرين أحدٌ يخالفك»، فأرجعه معاوية إلى عمله، وعاد إلى أصحابه وهو يقول: «لقد وضعت رجل معاوية في غَرْزٍ⁽¹⁾ بعيد القامة على أمة محمد، وفتقت عليهم فتقلاً لا يرتق أبداً».

هذه الرواية - وإن ظهر فيها شيءٌ من الوجاهة - إلا أنه ليس من المستساغ أن تغيب هذه الفكرة من أصلها عن ذهن معاوية نفسه، حتى يُفتق عن أكامها رجلٌ يُعتَبَرُ أقلَّ طموحاً ودهاءً منه، مثل المغيرة، وهو الذي لم يكابد ما كابده معاوية من تأثيل عرش دولته العائلية في الصراعات والحروب والدماء والمخالفات الشرعية، كما أنه يستبعد أن يغيب عن ذهن المغيرة حقيقة أن زعماء المعارضة لم يكونوا في العراق، وإنما في الحجاز.

غير أنه يمكن الأخذ بهذه الرواية على أن دور المغيرة كان تشجيعياً لمعاوية لإخراج الفكرة التي في داخل رأسه إلى حيز الوجود، فعدّها المغيرة من بنات أفكاره.

(1) الغَرْزُ: هو ركابُ الرَّحْلِ، ووضع رجله فيه: إذا وضعها وأثبتها فيه ليركب.

جديرٌ بالذكر أن معاوية كان قد فكّر بأخذ البيعة لابنه يزيد قبل موت الإمام الحسن سنة (49هـ/ 669م)⁽¹⁾، بل قبل اغتيال عبدالرحمن بن خالد بن الوليد سنة (46هـ/ 666م)، فقد جسّ نبض أهل الشام، وقال لهم بأنه قد كبر ودنا أجله، وقد رأى أن يولّي أمرهم رجلا من بعده، فأشاروا عليه بعبدالرحمن بن خالد، وكانوا يعظّمونه ويحبّونه⁽²⁾.

لكن ابن خالد بن الوليد سرعان ما تخطفه الموت، وأشارت المصادر باتهام معاوية بالوقوف خلف موته؛ إذ استأجر أحد الأطباء النصارى لسمّه⁽³⁾، وليس ذلك بعيدا؛ فهو ليس بأغرب من اتهامها إياه أيضا بسمّ سعد بن أبي وقاص⁽⁴⁾، بل كان الاغتيال بالسم أحد طرق معاوية لتصفية خصومه، بدءا من الأشتر النخعي أحد أهم أنصار علي بن أبي طالب سنة

(1) خليفة بن خياط: التاريخ ص 48، وحمادة: الوثائق السياسية ص 136.

(2) العسكري: كتاب الأوائل ص 170.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 202، والعسكري: كتاب الأوائل ص 170-171،

وابن الأثير: الكامل 3/ 309، وابن عبد البر: الاستيعاب 2/ 830، وقال: قصته مشهورة

عند أهل السير والعلم بالآثار والأخبار.

(4) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 80-81، وابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 708.

(38هـ/ 658م) على يد متولّي خراج العريش، وهو في طريقه واليا على مصر⁽¹⁾.

ومع أنه يصعبُ إثبات تلك الادعاءات؛ لكونها تعتمد السرية، لكن ما كان يُفصح عنها عادة هو اختفاء الخصوم بطريقة سريعة، وهو الاختفاء الذي كان يخدم أساسا مصلحة معاوية وطموحاته الشخصية، وكذلك إفصاحه هو أو مقرّبيه لاحقا بحدوث تلك الاغتيالات، مثل قوله: «إن لله جنودا من عسل»، بعد استهدافه للأشتر النخعي، كما أنه يمكنُ القولُ بأن حالة الريب التي ساورتِ الناسَ في حدوث عمليات اغتيال سياسية آنذاك كان يعبرُ عن واقع أصلا؛ فهذه أم المؤمنين عائشة هي الأخرى شكّت في اغتيال معاوية لأخيها عبدالرحمن بن أبي بكر سنة (53هـ/ 672م) بعد موقفه المتصلّب ضد ولاية العهد ليزيد⁽²⁾.

لقد نقل ابن عبد البر⁽³⁾ إجماعَ أهل النقل على اشتراط الحسن على معاوية بأن يكون له الأمر من بعده، ومن المرجّح أن معاوية ظل يراعي هذا

(1) ابن كثير: البداية والنهاية 7/ 313.

(2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 35/ 36، 38.

(3) الاستيعاب 1/ 385.

الشرط، فلم يُعلِن عَزْمَه البيعة بولاية العهد ليزيد إلا بعد التخلُّص من الحسن أيضا بطريقته المفضلة، وهي طريقة السمِّ أيضا. ويبدو أنه أولا جسَّ نبصَّ الأمة والولاية بشأن هذه البيعة، ثم بدا له تأجيلها حتى وفاة الحسن⁽¹⁾، وقد نقلت بعض المصادر اعتراض بعض ولاته مثل مروان بن الحكم على هذه البيعة⁽²⁾، ومن الطبيعي اعتراض مروان لأنه كان كبير السن، وكان وزيرا كبيرا في عهد عثمان، ولعله كان يؤمِّل أن يقدر معاوية له تضحياته وكبره، ولعل هذا الاعتراض يفسِّر لنا سبب عزل معاوية لمروان عن المدينة سنة (48هـ/668م)، واستبداله بسعيد بن العاص الذي لم يكن له ادعاءات كادعاءات مروان في الفضل والسابقة.

غير أن معاوية أرضى مروان لاحقا، واستطاع ترتيب البيت الأموي وإقناعه بولاية العهد ليزيد؛ بعد ترويضهم مدة، وقد كان بلغه كلام كرهه من سعيد بن العاص، ومروان بن الحكم، وعبد الله بن عامر، بشأن البيعة هذه، فاستعان يزيد بمسكين الدارمي الشاعر ليقول أبياتا يُشدها لمعاوية

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 139.

(2) المسعودي: مروج الذهب 3/38.

في مجلسه بحضور وجوه بني أمية وأشرف الناس، ومن جملة تلك الأبيات التي أنشدتها الدارمي:

ألا ليت شعري ما يقول ابن عامرٍ ومروانُ أم ماذا يقول سعيدُ؟
 بني خلفاءِ الله مهلاً فإنما يبوئها الرحمنُ حيث يريدُ
 إذا المنبرُ الغربيُّ خلاه ربُّه فإن أمير المؤمنين يزيد⁽¹⁾

وفي الأبيات ما يشير إلى الثقافة السائدة لدى بني أمية وأوليائهم من أنهم "خلفاء الله"، و"أبناء خلفاء الله"، الذين يختصون بالخلافة على هذه الأمة حتى آخر الزمان.

أما بالنسبة لمروان فإننا نجد معاوية في سنة 50 هـ وقد ترصّاه، وأعادته واليا على المدينة، ولكنه كان أيضا قد أصبح متحمّسا لبيعة ابنه يزيد⁽²⁾.

لقد ظهر أن أهل الشام مقتنعون جدا بيزيد بحكم اختيار خليفتهم الذي كانوا أطوع له من بنانه، إلا أن أهل الحجاز وأهل العراق لم يرضهم ذلك

(1) الأصفهاني: الأغاني 20/227-228.

(2) خليفة بن خياط: التاريخ ص 50، والمسعودي: مروج الذهب 3/38، وحمادة: الوثائق السياسية ص 169.

على ما به من سُمعةٍ ليست طيبة⁽¹⁾؛ لذا كانت بقية سنة 49هـ وسنة 50هـ مدة تأهيل وإعادة صياغة للخليفة المنتظر، وكان ذلك بإشارة من زياد والي البصرة⁽²⁾.

ومن أجل إنجاح هذه المهمة سجّلت المصادر التاريخية في حوادث سنة (50هـ/ 670م) غزو يزيد أرض الروم، كما تكبّد عناء السفر الطويل من الشام إلى الأراضي المقدّسة ليقيم الحجّ آخر تلك السنة⁽³⁾، وكان ميدانُ الغزو للكفار والحجّ بالمسلمين جزءاً من عملية التلميع والتسويق لهذا الخليفة القادم.

ولما كانت المدينة تضمُّ ما يمكن تسميتهم بـ(زعماء المعارضة) القوية لبيعة يزيد، وليس من السهل تليين مواقفهم بالضغط والإغراءات فقد وجّه معاوية جُلَّ اهتمامه إلى هذه المدينة المقدّسة، وفي كتاب (الوثائق السياسية) لـ(ماهر حمادة) ما يكشف عن نوع العلاقة بين العاصمة الأموية والمدينة المقدّسة، وتطوراتها فيما يتعلق بولاية العهد، وفيها تتبيّن عملية

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 247، 248.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 247، 248، واليعقوبي: التاريخ 2/ 220.

(3) خليفة بن خياط: التاريخ ص 50، والذهبي: تاريخ الإسلام ص 495.

الترويض الطويلة والشاقة التي لم تخلُ من تهديدٍ ووعيدٍ لأولئك الزعماء، بجانب الإغراء والترغيب أيضا.

وبعد أن تخلص من الإمام الحسن عليه السلام مباشرة، أرسل معاوية إلى عامله على المدينة مروان بن الحكم كتابا يقول فيه: «قد كبرت سني، ودق عظمي، وخشيتُ الاختلافَ على الأمة بعدي، وقد رأيتُ أن أتخيرَ لهم مَنْ يقوم بعدي، وكرهتُ أن أقطع أمرا دون مشورةٍ من عندك، فأعرض ذلك عليهم، وأعلمني بالذي يردون عليك»، ويظهرُ أن الاستجابة بشأن فكرة تعيينِ خلفٍ له من حيث المبدأ كانت إيجابية، لكنه ما إن عرض عليهم شخصَ مرشحِهِ وهو (يزيد) حتى رفضوا رفضا قاطعا، وكان قرار معاوية عزلَ مروان - كما ذكرنا - وتولية سعيد بن العاص⁽¹⁾.

بعد ذلك وجّه معاويةُ أوامره إلى واليه الجديد على المدينة بأخذ أهلها أخذا شديدا على البيعة، ولا يتعرض فقط للحسين عليه السلام والعبادة الأربعة⁽²⁾ فلم يقدر سعيد على فعل شيء، فكتب إلى معاوية معتذرا بأن

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 169.

(2) هم عبد الله بن عمر، وعبد الله بن الزبير، وعبد الله بن جعفر، وعبد الله بن عباس.

الناس تبع لهؤلاء، فأمره بإعادة المحاولة فلم يستطع، فرفع تقريراً إلى معاوية أوضح فيه أن «الناس بطاءً لا سيما أهل البيت من بني هاشم وابن الزبير»، واستمد الرجال والخيل لفرض ذلك بالقوة⁽¹⁾.

ثم أرسل معاوية إلى كلٍّ منهم رسالة، وطلب من سعيد أن يتنجز كلَّ واحد منهم جوابه بسرعة، لكن تلك المساعي لم تُفلح في ثني القوم عن رأيهم⁽²⁾، وانتهت هذه المحاولات بعزل سعيد بن العاص وإرجاع مروان سنة 50هـ.

وفي سنة 50هـ أخذ معاوية البيعة لابنه في دمشق، ودعا إلى بيعته أهل الشام فبايعوه⁽³⁾، وكان معاوية قد أمر ولاته أن يرسلوا الوفود من الأمصار إلى دمشق لحضور مؤتمر البيعة، فأتت الوفود وقد ضمون من رؤسائهم أن يكونوا في طوعه، ما عدا الأحنف بن قيس، وهياً معاوية الجوّ لذلك الغرض.

في صبيحة اليوم الذي اجتمعت فيه الوفود دعا معاوية الضحاك بن قيس الفهري فقال له: «إذا جلستُ على المنبر، وفرغتُ من بعض موعظتي

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 170.

(2) حمادة: الوثائق السياسية ص 170-172.

(3) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص 173، والذهبي: تاريخ الإسلام ص 496.

وكلامي، فاستأذن للقيام، فإذا أذنت لك فاحمد الله تعالى واذكر يزيد، وقل فيه الذي يحقُّ له عليك من حسن الثناء عليه، ثم ادعُني إلى توليته من بعدي»، ودعا بزعماء وشيوخ آخرين، منهم عبدالرحمن بن عثمان الثقفي، وعبدالله بن مسعدة الفزاري، وثور بن معن السلمي، وعبدالله بن عضاه الأشعري، وأمر كلا منهم بما أمر به الضحاك⁽¹⁾.

في ذلك المؤتمر تبارى القوم في ترصيع أحسن الكلام، ونسج أفضل الصفات للمدعو إلى بيعته، وأظهر بعض الحاضرين براعة فائقة في التزلف والملق، فقال أحدهم ويدعى يزيد بن المقنع العذري: «يا أمير المؤمنين إنا لا نطبق ألسنة مضر وخطبها، أنت أمير المؤمنين، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمن أبي فهذا، وسل سيفه»، فقال له معاوية: «أنت سيد الخطباء»⁽²⁾.

كان معاوية قد نصب قبة حمراء، فجعل الناس يُسلمون على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، وجاء أحدهم ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية فقال: «يا أمير المؤمنين، اعلم أنك لو لم تُولِّ هذا أمور المسلمين لأضعتهَا»، والأحنف بن قيس جالس ساكت، فقال له معاوية: «ما بالك لا تقول يا أبا

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 131-132.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ص 158، وابن الأثير: الكامل 2/ 142، وحمادة: الوثائق

السياسية ص 138.

بحر»، فقال: «أخاف الله إن كذبتُ، وأخافكم إن صدقتُ»، فقال: «جزاك الله عن الطاعة خيراً»، وأمر له بالوفِّ، فلما خرج الأحنف لقيه الرجلُ بالباب، فقال له: يا أبا بحر إني لأعلم أن شرَّ من خَلَقَ الله هذا وابنه، ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعتَ، فقال الأحنف: "يا هذا أمسكُ عليك، فإن ذا الوجهين خليقٌ ألا يكون عند الله وجيهاً"⁽¹⁾.

وفي المدينة لما لم تُجد تلك العملياتُ الترويضية بدا معاوية هذه المرة جاداً أكثر من ذي قبل، فأرسل إلى مروان أن يدعو الناس إلى البيعة، فقرأ عليهم رسالة الخليفة في المسجد، غير أن أولئك المعترضين رفضوا البيعة، وهم الحسين بن علي عليهما السلام، وعبد الله بن الزبير، وعبدالرحمن بن أبي بكر، وتطوّر الأمر إلى جدال عنيف بين مروان وابن أبي بكر، ولم يستطع مروانُ تحمُّله فأمر الشرطة بالقبض عليه، ولولا دخوله بيتَ أخته عائشة لأمسكوا به، وجاء في استنكار عبدالرحمن:

(1) المبرد: الكامل 1/30، وينظر ابن كثير: البداية والنهاية 8/80.

«أجئتم بها هرقلية، كلما مات هرقل كان هرقل مكانه؟! ما لأبي بكر لم يستخلفني؟ وما لعمر لم يستخلف عبد الله؟»⁽¹⁾.

أدرك معاوية أن هذا الأمر يتطلب حضوره شخصيا حتى يستطيع فرض وجهة نظره بأساليبه الملتوية، وثقله الاجتماعي والسياسي والاقتصادي؛ لذا عزم على الحج في السنة 51هـ/671م، فخرج هؤلاء المعارضون من المدينة إلى مكة، ولما لحقهم والتقى بهم هناك - خيره ابن الزبير "أن يصنع ما صنع رسول الله قبض ولم يستخلف أحدا"⁽²⁾، أو يصنع ما صنع أبو بكر، عمد إلى رجل من قاصية قريش ليس من بني أبيه، ولا من رهطه الأذنين، فاستخلفه، أو يصنع ما صنع عمر، جعلها شورى بين ستة نفر، ليس فيهم أحد من ولده ولا من رهطه".

(1) البخاري: الجامع الصحيح 4/1827 رقم 4550، وابن الأثير: أسد الغابة ص704،

وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 35/35-37، وابن حجر: الإصابة 4/327.

(2) استخلاف الإمام علي عليه السلام في يوم الولاية في الـ18 من ذي الحجة لا يخفى على

ابن الزبير، ولا على غيره من الصحابة، وقوله هذا ربما من تصرف الرواة لاحقا بحسب

اعتقاداتهم، أو بالفعل كان ابن الزبير يشاطر معاوية إظهار الرأي بأن رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم لم يستخلف، وبالتالي فهو يستدل عليه بما يستلزمه كل منهما ولو

في الظاهر.

عندئذٍ تأكّد لمعاوية أنه قد استنفد سياسة اللين، ورأى أنه من الأجدى استخدام لغة أخرى، فقال لهم: «إنه قد أعذر من أنذر، وإنه قد كان يقوم منكم القائم إليّ فيكذبني على رؤوس الناس، فأحتمل ذلك له وأصغح عنه، وإنني قائمٌ بمقالة إن صدقتُ فلي صدقي، وإن كذبتُ فلي كذبي، وإنني أقسم بالله لئن ردّ عليّ منكم إنسانٌ بكلمة في مقامي هذا، لا ترجع إليه كلمته حتى يسبق إليّ رأسه»، ثم خرجوا إلى المسجد، ووضع على رأس كل منهم من شرطته، فقام معاوية وحمد الله وأثنى عليه، ثم قال: «إن هؤلاء الرهط سادة المسلمين لا نستبدُّ بأمرٍ دونهم، ولا نقضي أمراً إلا عن مشورتهم، وإنهم قد رضوا وبايعوا ليزيد ابن أمير المؤمنين من بعده، فبايعوا باسم الله»، فبايع الناس ظناً منهم أن قد بايع أولئك المعترضون، فلما لقيهم الناس ولاموهم على بيعتهم بعد أن كانوا مُعلنين رفضهم، أوضحوا لهم الملابس التي حصلت وأنهم لم يبايعوا، ولكن سكتوا لتهديده إياهم، وكان معاوية قد انصرف إلى الشام⁽¹⁾.

من الواضح أن معاوية استخدم سياسة (الجزرة والعصا) - إن صحت العبارة - في بيعة يزيد، فكان المال وبريقه في يد، وكان الوعيد وسيفه في اليد الأخرى، وقد بايع الناس جميعاً تحت ذلك الظل السياسي، وهي

(1) خليفة بن خياط: التاريخ 52-53، والذهبي: تاريخ الإسلام ص 520.

تذكرنا بنسبة 99٪ المشهورة في انتخابات الشرق الأوسط اليوم، فمن يستطيع أن يخالف رأيا لزياد والي البصرة؟، وإلا لرميَ بشق العصا، ومفارقة الجماعة، ومخالفة وليّ الأمر، وقد صوّر حالة الناس يومئذ الشاعرُ العربي المعاصر عبدالرحمن السلولي؛ إذ قال:

فإن تأتوا بـ(رملّة) أو بـ(هند) نبايعها أميرة مؤمنينا
إذا ما مات كسرى قام كسرى نعدُّ ثلاثةً متناسقينا⁽¹⁾

ولم يكن نظامُ الدولة يسيّرُ على نمطٍ واحدٍ في التعامل مع المخالفين في الرأي؛ فبينما نجد الملايئة والمخاتلة لدى رأس النظام (معاوية) نجد الشدة والقسوة لدى عامله زياد على البصرة مثلا، وهي سياسة أرادها معاوية نفسه⁽²⁾، وعادت لصالح سمعته هو على حساب سمعة ولاته.

ومن الظاهر أن المال قد وُظفَ توظيفًا بالغًا في بيعة يزيد، فعلى سبيل المثال أرسل معاوية لعبدالله بن عمر بمئة ألف درهم فقبلها، فلما ذُكرت

(1) الخطابي: غريب الحديث 2/ 518، والمسعودي: مروج الذهب 3/ 37.

(2) ابن أبي شبة: المصنف في الأحاديث والآثار 6/ 187 رقم 30554، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص 175.

له البيعة قال ابن عمر: "أترون هذا أراد؟ إن ديني عندي إذا لرخص" (1)، كما أن عبدالرحمن بن أبي بكر ردّ مئة ألف أخرى أرسلت إليه على ذمة بيعة يزيد، وقال: "لا أبيع ديني بدنياي" (2).

ولما أرسل المغيرة بنُ شعبة وفدا من شيعة بني أمية من أهل الكوفة إلى معاوية يدعونه إلى أن ينصبَ لهم علماً من بعده، وأنهم قد رضوا ابنَ أمير المؤمنين علماً، فتندّر معاوية على ذلك الإخلاص الشديد منهم، وسأل زعيم الوفد (ابن المغيرة) قائلاً له: بكم اشترى أبوك من هؤلاء دينهم؟ قال: بأربع مئة دينار (3)، وقد استطاع تجنيد بعض الزعماء الذين أكرمهم وأغدق عليهم لما تناقلت بعض القبائل الكبرى كـ(ربيعة) عن بيعة يزيد (4).

ومن المهم معرفة أحوال الناس ومدى علاقتهم بولاتهم ومدى حريتهم في اتخاذ قراراتهم لإعطاء صورة للوضع الداخلي في المجتمع الإسلامي والظروفِ الملازمة لأخذ البيعة بولاية العهد، ويمكن رصدُ

(1) ابن الأثير: الكامل 3/ 351، والبيهقي: السنن الكبرى 8/ 159 رقم 16409.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب 2/ 825-826، وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 35/ 36،

والحاكم النيسابوري: المستدرک على الصحيحين 3/ 542 رقم 6015.

(3) ابن الأثير: الكامل 3/ 350، وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 40/ 298.

(4) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 16/ 209.

اتجاهات الولاية في علاقاتهم مع أمصارهم من خلال البرامج السياسية المعلنة من قبلهم.

يبدو أن الوضع الاجتماعي كان يخوّل معاوية بتنفيذ أيّ شيء يريد، فلتن اشتهر بالعمو والصفح عمّن يتجرّؤون عليه، إلا أنه كان قد اتخذ إجراءً سياسياً وواجباً إدارياً على ولاته في أمصارهم، كما سيأتي في أسباب ثورة الإمام الحسين بن علي، وذلك هو لعن الإمام علي وشتّمه على المنابر، مع أنه كان يحظى باحترام كثير من المسلمين، ولم يتجاسر أحد في الردّ أو الانتقاد لهذه السياسة إلا في حالات نادرة مثل حالة سعد بن أبي وقاص، واحتملها له معاوية لكونه من السابقين، ومن أهل الثقل الاجتماعي وأهل الشورى⁽¹⁾، أما أولئك النفر من أهل الكوفة، وهم حجر بن عدي الكندي وأصحابه، الذين تجاسروا في الاعتراض على تلك السياسة فإنهم خسروا أرواحهم كما سيحيى، وبهذا يتبيّن أن الجميع أسكتوا إلا قليلاً منهم؛ نزولاً عند رغبة ورهبة ولي الأمر، مع أن كثيراً منهم كانوا لا يرضون لعن الإمام علي ولا شتمه.

(1) مسلم: الصحيح 4/ 1870 رقم 2404.

إن متابعة للمشهد الداخلي الذي تضمّنته وثائق ذلك العهد من حُطَبٍ وبيانات يمكن أن تعكس تلك الصورة الداخلية التي استطاع معاوية مع ولاته رَسَمَها بدقة وعناية.

فالمغيرة والي الكوفة (من 41هـ/661م - إلى 50هـ/670م) رغم محبته للعافية ودهائه المعروف، غير أنه لما سمع بتحرك الخوارج في أحيائها خطب في أهلها وهذّدهم باتخاذ سياسة «أخذ البريء بالمُذنب»، وإبادة الحي الذي يخرج منه خوارج، فكان على صعصعة بن صوحان العبدي وقبيلته عبد القيس - التي كانت من أشد أنصار الإمام علي في حياته - أن يجدوا لأنفسهم مخرجًا؛ لكونهم مستهدّفين بسبب سوابقهم مع الإمام علي عليه السلام، وأيُّ تقصيرٍ منهم في توجيهات الوالي سيُعتبرُ غطاءً لعمليات انتقامية ضدّهم، فخطب صعصعة في قومه مبينًا لهم تلك الأخطار التي تُحدِق بهم⁽¹⁾.

أما زيادُ ابن أبيه الذي وليَ البصرةَ ما بين (44هـ/664م و53هـ/672م)، وجمعت له الكوفة مع البصرة منذ (50هـ حتى وفاته في 53هـ) فكانت شدته وقساوته على الناس أقوى، حتى أن أهل البصرة لما

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك/3/180، وابن الأثير: الكامل/2/115، وحمادة: اللوائح السياسية ص107.

سمعوا تهديده لهم بقوله: «يا أهل البصرة والله لتكفني هؤلاء أو لأبدأن بكم، والله لئن أفلت منهم رجلٌ لا تأخذون العام من عطائكم درهما» - ثاروا بالخوارج من أهلهم، فقتلوهم⁽¹⁾.

ويبدو أن سياسة أخذ البريء بسبب قريبه المعارض هي السياسة التي كانت متبعة في تلك الدولة، ويظهر ذلك من خطبة زياد المشهورة بالبراء⁽²⁾ غداة قدومه البصرة سنة (44هـ/664م)، والتي كان لها أثرها الفاعل في توطيد الخوف والرعب من سلطاته؛ قال فيها: «وإني أقسم بالله لأخذن الولي بالمولى، والمقيم بالطاعن، والمقبل بالمدبر، والمطيع بالعاصي، والصحيح منكم في نفسه بالسقيم، حتى يلقي الرجل منكم أخاه؛ فيقول: انج سعد فقد هلك سعيد، أو تستقيم لي قناتكم»، وأكد أن كلامه يجب حملهُ على محمل الجد بقوله: «إن كذبة المنبر بقاء مشهورة، فإذا تعلقتم عليّ بكذبة فقد حلت لكم معصيتي».

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/209، وحمادة: الوثائق السياسية ص 109.

(2) الجاحظ: البيان والتبيين ص 139.

ثم أعلن حالة الطوارئ ومنع التجوال الليلي، فأُتِيَ بغريب دَخَلَ المدينة، وكان قد أَدْلَج في الليل ولم يدرِ بالقوانين الجديدة، فلم يتردّد زياد في قتله مع علمه أنه بريء⁽¹⁾، ورأى أن في ذلك استعادة لهيبة القانون وصلاحا للأمة.

بل إنه حين بدأ زياد بتطبيق حظر التجوال الليل دعا صاحبَ شرطته، وأمره أن يسير ولا يلقينَّ أحدا إلا أتي برأسه، بدءاً بعبيدالله بن زياد ابنه فمن دونه، فصَبَّح على باب القصر 700 رأس في تلك الليلة، ثم خرج في الليلة الثانية فجاء بخمسين رأساً، ثم خرج في الليلة الثالثة فجاء برأس واحد، ثم لم يجرى بعدها بشيء، وكان الناس إذا صلوا العشاء الآخرة ذهبوا إلى منازلهم بسرعة، وبعضهم يترك نعاله في المسجد خوفاً من أن يتأخّر فتقطّف رأسه⁽²⁾.

لقد تضمّنت خطبته البليغة تلك مفهومه حول السمع والطاعة من الرعية، وسياسته في توزيع الفيء قائلا: «ولكم علينا العدل والإنصاف فيما وُلِّينا، فاستوجبوا عدلنا وفيئنا بمناصحتكم لنا»، لكنه أفصح عن رغبة شديدة في التسلُّط والإذلال وتنفيذ أوامره مهما كانت، وتوعّد بالقتل

(1) العسكري: كتاب الأوائل ص 217، وابن الأثير: الكامل 2/ 124.

(2) ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 4/ 280.

الكثير، قال: «وإذا رأيتموني أنفذ فيكم الأمر فأنفذوه على إذلاله، وأيم الله إن لي فيكم لصرعى كثيرة، فليحذر كل امرئ منكم أن يكون من صرعاي». إن صورة مُسْرِفة في القتل نقلتها المصادر لأحد نوابه على البصرة وهو (سُمرة بن جندب)، أحد الذين صحبوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولكنه لم يرعَ حق تلك الصحبة؛ لقد قتل نائبُ زياد والصحابيُّ!! هذا في غيبته التي لم تكن طويلة ثمانية آلاف رجل، فقال له زياد: أنتخافُ أن تكون قتلتَ بريئا منهم؟ فقال: لو قتلتُ مثلهم معهم لما خشيتُ، وقد ركب هذا النائبُ يوما فمرَّ برجل يتشحط في دمه، فقال: ما هذا؟ فقيل: أصابه أوائلُ خيلك، فقال: إذا سمعتم بنا قد ركبنا فاتقوا أسنتنا⁽¹⁾.

وجاء الضحاك بن قيس الفهري واليا على الكوفة بعد موت زياد، وقد وليَ أمرها من سنة (53هـ/672م) إلى (57هـ/676م)⁽²⁾، وكان قد أصبح لسيف زياد صدى قوي ووقع رهيب على قلوب أهل العراق، فهذَّدهم بذلك السيف الذي يعرفونه، قائلا: «لئن لم تنتهوا عما بلغني عنكم

(1) ابن الأثير: الكامل 3/ 318.

(2) خليفة بن خياط: التاريخ ص 53.

لأضعنَّ فيكم سيفَ زياد، ثم لا تجدوني ضعيف السّورة ولا كليل الشفرة»، وأراد أن يُذكّرهم مَنْ هو الضحّاك لبث الرعب في قلوبهم فقال: «لقد دَعَرْتُ المخدّرات في خدورهن، وإن كانت المرأة ليبيكي ابنها فلا تُرهّبهُ ولا تُسكّته إلا بذكر اسمي»⁽¹⁾.

وهناك عتبة بنُ أبي سفيان حجّ بالناس سنة (41هـ/ 661م)، وكان أحد المروّجين لعقيدة الجبر والقدر، أراد بذلك أن يُقنع الناس بقدرهم الذي قُدّر لهم من ولاية بني أمية، وحذّرهم من مدّ الأعناق إلى سواهم⁽²⁾، وكان سيف عتبة حاضرا للتهديد والوعيد به في المناسبات، وقد خطب في أهل مصر يوما لما ولي أمرهم فقال: «يا أهل مصر إياكم أن تكونوا للسيف حصيدا، فإن لله فيكم ذبيحا بعثمان...»⁽³⁾، وقال أيضا مهدّدا لهم إن لم يُقلعوا عن الطعن في السلطان، والتنقّص لعثمان في خطبة بليغة، فقال: «يا حاملي الأم أنفٍ رُكّبت بين عين... فأما إذا أبيتُم إلا الطعن على السلطان،

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 1/ 363، وحمادة: الوثائق السياسية ص 118.

(2) المبرد: الكامل ص 321، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 38/ 268، وابن عبد ربه:

العقد الفريد 2/ 26، وحمادة: الوثائق السياسية ص 119.

(3) ابن عبد ربه: العقد الفريد 2/ 25، وحمادة: الوثائق السياسية ص 120.

والتنقُصَ للسلف، فوالله لأُفطَّعَنَّ بطون السياط عن ظهوركم، فإن حَسَمَتْ أدواءكم وإلا فإن السيف من ورائكم، ... ولستُ أبخلُ عليكم بالعقوبة إذا جُدْتُم بالمعصية، ولا أؤيسُّكم من مراجعة الحُسنَى، إن صِرْتُم إلى التي هي أبرُّ وأتقى»⁽¹⁾.

ويبدو أن مخبراتِ معاوية نقلت له وجودَ أقوام في مصر يطعنون على الولاية ويعيبون السلف، فأرسل كتابا إلى عتبة يذكر له ذلك، فقام عتبة في أهل مصر خطيبا قائلا: «يا أهل مصر خفَّ على ألسنتكم مدحُ الحق ولا تفعلونه، وذمُّ الباطل وأنتم تأتونهُ، كالحمار يحمل أسفارا، أثقله حملها، ولم ينفعه علمها، وأيمُ الله لا أداويكم بالسيف ما صلحتم على السوط، ولا أبلغ بالسوط ما كفتني به الدرَّة [العصى]...»⁽²⁾.

وفي مكة لم يبعُد عن هذا الاتجاهِ واليها عمرو بنُ سعيد بن العاص، الذي اعتبر تملك بني أمية للدولة الإسلامية بالقوة حقا لهم؛ إذ قال: «ثم شدخ أمرٌ بين أمرين، فقتلنا وقتلنا، فوالله ما نزعنا ولا نزعَ عنا (يشير إلى حروبهم ضد الإمام علي)، حتى شربَ الدُمُ دمًا، وأكلَ اللحمُ لحما، ...

(1) المبرد: الكامل ص 336، وحمادة: الوثائق السياسية ص 120.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب 3/ 1026، وابن قتيبة: عيون الأخبار ص 224، وحمادة:

الوثائق السياسية ص 121.

حتى طابوا عن حقنا نفسا، والله ما أعطوه عن هواده، ولا رضوا فيه بالقضاء، أصبحوا يقولون: حَقُّنا غُلِبنا عليه، ... يا أهل مكة: أنفَسكم أنفَسكم، وسفهاءكم سفهاءكم، فإن معي سوطا نكالا، وسيفا وبالا، وكلُّ منصوبٌ على أهله»⁽¹⁾.

ولما قدم معاوية المدينة أول مرة بعد أن خَلص له الأمر، وتلقته رجال قريش، فقالوا له: "الحمد لله الذي أعز نصرك، وأعلا أمرك"، فما ردَّ عليهم جوابا حتى قصد المسجد، وصعد المنبر، فحمد الله وأثنى عليه وقال: «أما بعد فإنني والله ما وُلِّيتُ أمرَكم حين تولَّيْتُهُ، وأنا أعلم أنكم لا تُسرون بولايتي ولا تحبونها، وإني لعالم بما في نفوسكم من ذلك، ولكنني خالستكم بسيفي هذا مخالسة...»⁽²⁾.

تلك هي الحالة التي تبيِّن طبيعة العلاقة بين المجتمع الإسلامي والمتحكِّمين فيه من بني أمية وقتَ بيعة يزيد، ومن الطبيعي أن ينساق عامة الناس وأغلبهم لما يريد السلطان الذي بيده الوعيد للمخالف، وبيده الأخرى العطاء للموافق، وهي حالة لا تُشجِّع على إبداء آراءٍ مخالفة، ومن

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد 2/24، وحمادة: الوثائق السياسية ص 124-125.

(2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 59/54، والذهبي: تاريخ الإسلام ص 574، وابن كثير:

البداية والنهاية 8/132.

الطبيعي في ظلها أنه إذا أبدى أحد رأياً مخالفاً لما يريدُه الوالي لا سيما فيما يتعلق بالخلافة - فإن التهم الجاهزة من قبيل (الطعن على السلطان) و(النفاق والشقاق)، و(الفرقة والخلاف)، و(خلاف ولي الأمر) ستكون موجّهة إليه، كما وُجّهت للأحنف بن قيس وهو مَنْ هو حلماً وسيادة وثقلاً لَمَّا أبدى رأياً تحفّظ فيه على بيعة يزيد، فقد اتّهم بالنفاق واتخاذ إبليس خليلاً وحزباً، وهُدّد هو ومَنْ على شاكلته بصواعقٍ خزيٍ وبيل، وقوارعٍ أمر جليل⁽¹⁾.

أما سيد خطباء البلاط - كما منحه هذا الوسام معاوية - فقد أوضح لكل مَنْ تُسوّل له نفسه مخالفة رأي أمير المؤمنين!! فقال: «أمير المؤمنين أنت، فإن هلكت فيزيد بعدك، فمن أبى فهذا، وسل سيفه»⁽²⁾.

وبهذا يتبيّن أن لا جدوى عملية من دعوى الإجماع على بيعة كهذه، في ظل تلك الظروف السياسية والاجتماعية والأمنية والاقتصادية السالفة، حيث يظهر أن المال والسيف والعطاء والجاه والولاية والمقرّبين والمحبين

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 136، 137، 138.

(2) ابن قتيبة: عيون الأخبار ص 214، والجاحظ: البيان والتبيين ص 88، وحمادة: الوثائق

السياسية ص 138.

والمنتفعين والخائفين كلهم احتشدوا لصناعة (أمير المؤمنين الجديد) في ظل تلك الأوضاع المشار إليها.

ومع ذلك فإننا نجد مواقف نُقِلَتْ لبعض الصحابة الذين عارضوا هذه البيعة رغم الجوّ المحفوف بالمخاطر، الذي لا يُشجّع على إبداء رأيٍ لا تحبّذه السلطة القائمة، ومن تلك المواقف موقف أهل المدينة الذين لم يبايعوا إلا بعد استخدام لغةٍ أخرى مع الزعماء المعارضين، وبعد عملية تضليلٍ وخداع⁽¹⁾، ثم لم يبن لهم حقيقة الموقف إلا لاحقاً.

كما انتقد عمرو بن حزم الأنصاري -والي الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على نجران - معاوية انتقاداً شديداً حين أراد البيعة ليزيد، حتى استبدّ بمعاوية العرق في وقتٍ بارد، فاعتذر له معاوية بأنه لم يبقَ إلا أبناء الصحابة وابنه، وابنه أحق من أبنائهم، على أن ابن حزم لم يذهب من المدينة إلى

(1) ذكر ابن كثير في (البداية والنهاية 8/80): أن معاوية استدعى كل واحد من هؤلاء الزعماء المعارضين (ابن الزبير ومن معه) فأوعده وتهدهه بانفراد... ثم خطب معاوية وأظهر للناس أن قد بايع هؤلاء الخمسة (المعارضون)، ولم يظهروا خلافاً؛ لأنه قد تهددهم وتوعدهم، فاستقت البيعة ليزيد في سائر الأمصار.

دمشق إلا لينصح معاوية بتلك النصيحة⁽¹⁾؛ ومع ذلك فاعتذار معاوية يوحى بأنه اعتذار المستهتر بالنصيحة.

كما روي أن أبا أيوب الأنصاري قال لمعاوية: "اتق الله ولا تستخلف يزيد"⁽²⁾، وممن كره بيعة يزيد عبد الله بن عمرو بن العاص⁽³⁾، وإذا كان سعد بن أبي وقاص يرى أن معاوية مَلِكٌ، وليس بخليفة⁽⁴⁾، فمن بابِ الأولى أن نظرت له لم تتغيرّ تجاه ما تفرّع عن هذا المُلْك من ولاية العهد. ومن نافلة القول أن سعيد بن عثمان بن عفان هو الآخر كان يرى نفسه أحقّ بالأمر من يزيد؛ لأنه خيرٌ منه أبا وأما ونفسا، بل إنه شافَه معاوية نفسه بهذا الادّعاء، لكن معاوية أَرْضاه بإسنادٍ منصبٍ إداري إليه⁽⁵⁾.

-
- (1) أبو يعلى: المسند 92 / 13 رقم 7174، وابن الأثير: أسد الغابة ص 845، وابن حجر: الإصابة 4 / 621، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص 182.
- (2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 43 / 320.
- (3) الذهبي: تاريخ الإسلام ص 652.
- (4) ابن الأثير: الكامل 3 / 275.
- (5) ابن كثير: البداية والنهاية 8 / 79.

وسُجِّل في حوادث سنة 60هـ - وهي سنة وفاة معاوية - أخذ معاوية البيعة لابنه يزيد على وفدٍ عراقي، كان قد وفد مع والي البصرة عبيدالله بن زياد⁽¹⁾؛ الأمر الذي يشير إلى اشتغال معاوية ببيعة يزيد كثيراً، بل وحتى آخر أيام حياته⁽²⁾.

وبهذا العرض تبين أن أخذ معاوية البيعة بولاية العهد ليزيد وقع في ظل ظروف الترغيب والترهيب، والتي شكلت قوة ضاغطة لكتم الأصوات المعارضة، وعليه فلا جدوائية حقيقية لبيعة أخذت بالمال من جهة، وبالسيف من جهة أخرى.

3- إجراءات يزيد في بيعته بالخلافة

في رجب من سنة ستين مات معاوية بن أبي سفيان⁽³⁾، وترك وراءه مكاناً سياسياً ودولة مترامية الأطراف، لها مشروعها المناقض للإسلام المحمدي، وكان من العسير على شخصٍ مثل يزيد ملاً المكان الذي تركه

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 260.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 260.

(3) خليفة بن خياط: التاريخ ص 56، والطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 261.

والدَّه، وكان أول إجراء ليزيد هو أخذ البيعة له بالخلافة، ثم لم يكن له من همَّ إلا بيعة النفر الذين أبوا على أبيه الإجابة إلى بيعته⁽¹⁾.

كانت بيعة الإمام الحسين بن علي عليه السلام، وابن الزبير، وعبدالله بن عمر شُغِّلَ يزيد الشاغل من اللحظة الأولى لتولَّيه الخلافة، فأصدر أوامره على والي المدينة الوليد بن عتبة بن أبي سفيان القاضي بأخذ الرافضين للبيعة أخذاً شديداً، وأن لا رخصة لهم حتى يبايعوا⁽²⁾.

استشار الوليد بن عتبة مروان بن الحكم فأشار عليه بالإرسال على الحسين وابن الزبير في تلك الساعة من الليل لدعوتهم إلى البيعة، فإن أبوا ضربَ أعناقهم⁽³⁾، لكن الإمام الحسين فطن لسبب إرسال الوليد إليهما في تلك الساعة، وقال: «أرى طاغيتهم قد هلك، فبعث إلينا ليأخذنا بالبيعة قبل أن يفتشوا الخبر في الناس»؛ لذلك لم يذهب الحسين عليه السلام إلى دار الإمارة إلا في جَمْعٍ من غلمانِه، ورَتَّبَ معهم إجراءات أمنية احتياطية تفاديا للقبض عليه⁽⁴⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 269، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 146.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 269، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 146.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 269، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 146.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 270.

أظهر الوليدُ لنا في حوارهِ مع الإمام الحسين؛ بما يشير إلى أنه كان يؤثر السلامة؛ لذلك قَبِلَ عَرَضَ الإمام الحسين عليه بأن "مثله لا يُباعُ سرا"، بخلاف مروان الذي تَفَرَّسَ في الحسين نِيَّتَهُ الميِّتَةَ لرفض البيعة، وأن ذلك التأخر ليس إلا نوعاً من كسب الوقت؛ فأشار على الوليد بحبس الإمام الحسين حتى يباع أو ضرب عنقه، فعَنَّفَ الإمامُ الحسينُ الردَّ على مروان بسبب تلك المشورة، لكن الوليد لم يستطع مجاراتها معتذراً بأنه لا يُحِبُّ قتلَ الحسين، وأبدى تخوفاً شديداً عن ذلك⁽¹⁾.

لم يكن لدى والي المدينة من الجُرأة ما لا يخاف معها من سفك دم الإمام الحسين؛ لذلك لم يحسم أمره معه حتى في اليوم التالي، بعد أن تسلَّل ابن الزبير إلى مكة، حيث عادوا للإرسال إلى الإمام الحسين في تلك الليلة فقال لهم: «أصبحوا حتى نرى وتروُن»، ولكنه خرج تحت جُنح الليل مع أهله، ما عدا محمداً أخاه، وذهب إلى مكة⁽²⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3 / 270، وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 147.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3 / 270، وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 147.

لقد ظهر الوليد خائفاً من دم الحسين ومتورّعا بالشكل الذي لا يُرضي يزيد الذي كان قد أصدر توجيهات واضحة، وهي أخذ مَنْ لم يبايع أخذاً شديداً، كما ورد عند الطبري، وبيعتهم أو ضرب أعناقهم كما ورد لدى اليعقوبي⁽¹⁾.

ويترجح لي أن رواية اليعقوبي هي الأقرب إلى الصحة، وهي البيعة أو ضرب الأعناق، وأن ما ورد في الطبري ليس إلا تهديبا لتلك التوجيهات من بعض الرواة؛ بدليل أن مروان أشار على الحسين بذلك الإجراء المطلوب من قبل دمشق، وبدليل أن الوليد عَزَلَ لاحقاً، لأنه لم يُقم بالمهام المطلوبة، ولا يعني يزيد ما تعلل به الوليد من التقوى والخوف من أن يقع في دم الحسين؛ لأنه لم يكن لدى يزيد أية حسابات دينية، بل رأى في ذلك ضِعفاً مُوجِباً للعزل، على أن يزيد كان يعتقد أن (حلم) أبيه أفسد أهل المدينة⁽²⁾؛ لذا كان من الطبيعي أن يسلك سياسة أخرى تجاههم.

وأما ابنُ عمر فقد كان الأمويون لا يرهبون جانبَه، كما أنه أيضاً كان قد عدّهم بالبيعة إذا اجتمع الناس عليهم⁽³⁾.

(1) التاريخ/2/241.

(2) البلاذري: أنساب الأشراف/2/192، وحمادة: الوثائق السياسية ص 190.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك/3/272.

ويظهر أن أهل المدينة بايعوا بعد مغادرة الحسين عليه السلام وابن الزبير، ولكن تحت ظلالٍ تهديدٍ روحِ بن زنباع الجذامي، أحدِ أعيان وعلماء البلاط الأموي؛ حيث خطب فيهم لما لاحظ هو والوليدُ إبطاءهم عن البيعة، فدعاهم إلى بيعة مَنْ «اختصه الله بهذا الأمر!! وَمَنْ جعله الله له»، وليس واضحاً أيُّ اختصاصٍ لله في يزيد كما زعم، سوى ما كان معاوية ورجال بلاطه يُشيعونه من ثقافة الجبر والقدر، وأن حكمهم للأمة قدّر قدره الله عليها حتى ظهور السفيناني وقيام الساعة.

وهدهم ابن زنباع أن «أهل الشام هم أبناء الطعن والطاعون وفضلات الموت»، ثم منّاهم إن بايعوا المعونة والعائدة ما شاءوا⁽¹⁾، وكانت هذه الكلمات كافية لتنبئ أهل المدينة وتحذيرهم من مغبة الاستمرار في التمسك بمبدئهم.

في شهر رمضان سنة 61هـ جاء الردُّ من دمشق سريعاً وحاسماً؛ فقد عُزل الوليدُ، وولِّيَ عمرو بنُ سعيد بن العاص الأموي (الأشدق) الذي أدنّت توليته بتوجه جديد للسلطة الجديدة في دمشق، وهو ما تمخض عنه

(1) الجاحظ: البيان والتبيين ص 114، وحمادة: الوثائق السياسية ص 187.

تلك الأحداث الجسام في تاريخ الأمة الإسلامية، من قتل الحسين عليه السلام، وأهل المدينة، واستباحتها، ورمي الكعبة بالمجانيق وحرقتها.

وبهذا يتبين أن يزيد لم يكن جديراً بأي منصب عام يتولى فيه شؤوننا عامة باسم الإسلام، كما يتضح أن الظروف التي فرض فيها والده معاوية ولاية العهد له لم تكن ظروفًا طبيعية، بل كانت ظروفًا قاهرة وضاغطة، فرضت على الأمة خيار تلك البيعة قسراً وجبراً، كما اتضح حرص يزيد بعد موت والده، على بيعته الإمام الحسين تحت أي وضع، وبأي ثمن، لكن الإمام الحسين كان قد أفلت من المدينة وذهب إلى مكة.

الفصل الثاني ثورة الإمام الحسين على يزيد

تميّز عهد يزيد بفضاعة الأحداث التي وقعت في عهده، ومنها وقعة كربلاء، ومقتل سيد أهل الجنة، الإمام الحسين سبط رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ لما لها من وقع على المسلمين، ولما أنبأت به عن مدى ونتائج الانحراف الثقافي والسياسي والفكري الذي أصابهم بعد مغادرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واقعهم، ليس على المستوى الرسمي فقط، بل وحتى على المستوى الشعبي، والنخبوي، ولأنها خلّفت آثاراً لاحقة نجدّها حتى عصرنا الحاضر، وقد شاركت في تنميط الناس وتشكيل توجهاتهم الثقافية، فمن هو الإمام الحسين عليه السلام، ثم ما هي الأسباب والظروف والمنطلقات التي شاركت في ظهور ثورته الكربلائية؟

1- نبذة عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام

قبل الحديث عن ثورة الإمام الحسين على يزيد يجدر أن نتعرّف على الإمام الحسين بن علي باعتباره بطل تلك الثورة وقائدها وأهمّ اللاعبين الأساسيين في أحداث هذا الفصل؛ حتى يتسنى فهم الحادثة وأسبابها وظروفها بشكلٍ معمّق.

وقد نزلت في فضله وأهل بيته آيات القرآن الكريم، ومن ذلك:

- آية التطهير، وهي قوله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا) [الأحزاب: 33]، تقول الروايات المتكاثرة: إنه لما أنزل الله هذه الآية دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاطمة وعلياً والحسن والحسين، فجللهم بكساء يمانى، وقال: (اللهم هؤلاء أهل بيتي)⁽¹⁾، وبعد نزول هذه الآية مكث صلى الله عليه وآله وسلم مدة طويلة يأتي منزلهم كل غداة فيقول: (الصلاة الصلاة)، إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا)⁽²⁾، وهذه الآية وهذا الحديث يدلان على عصمة الخمسة أهل الكساء من الذنوب والمعاصي.

- وآية المباهلة، وهي قوله تعالى: (فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَةَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ) [آل عمران: 61]، نزلت

(1) أخرجه مالك، وأحمد بن حنبل، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، والدارقطني، والحاكم، وأبو الشيخ، والطبراني، والبيهقي، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن خزيمة، وابن عساكر، وابن مردويه، وابن المنذر، وعامة المحدثين، ورواه أهل البيت بأسانيدهم إلى أمير المؤمنين، والحسن السبط، وفاطمة الزهراء، وابن عباس، وعبدالله بن جعفر، وجابر بن عبدالله الأنصاري، وأسن بن مالك، وسعد بن أبي وقاص، وغيرهم. (ينظر المؤيدي، لوامع الأنوار، ج 1، ص 55).

(2) ينظر ابن عبد البر: الاستيعاب، 4/ 1543؛ وينظر المصادر السابقة.

عندما كابر نصارى نجران الحجة، فأمر الله بدعوتهم إلى المباهلة، أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص، قال: لما نزلت آية المباهلة، دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، وقال: (هؤلاء أهل بيتي)⁽¹⁾، وهو يدل على بنوة الإمام الحسين عليه السلام لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

- وآية المودة، وهي قوله تعالى: (قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ) [الشورى: 23]، ولما نزلت قال الصحابة: يا رسول الله، من قرابتك الذين أمرنا الله بمودتهم؟ قال: (علي وفاطمة وولدهما)⁽²⁾.

- كما حفظ الصحابة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أحاديث في فضله؛ فقد رواه عنه أنه قال فيه وفي أخيه الحسن: «الحسن والحسين

(1) مسلم: الصحيح، 4/1870، رقم 2404.

(2) خبر مشهور مروى عن جماعة من الصحابة، أخرجه الحسكاني من طرق، وأخرجه أبو عبيد في فضائل القرآن، وإسحاق، وعبد بن حميد، والحسن بن سفيان، والبعوي، والثعلبي، والمرشد بالله من طريقين، والحاكم، وابن حنبل، وابن المغازلي.

سيدا شباب أهل الجنة»⁽¹⁾، وهو دليل على فضل كل تحركاته في الدنيا لا سيما تلك التي استشهد فيها، وأنها من الأمور التي رفعته إلى تلك المنزلة عند الله سبحانه وتعالى.

-وفي البخاري: روى ابنُ عمر - لما سأله أهلُ العراق عن المُحْرِمِ يقتل الذباب - قولَ الرسولِ صلى الله عليه وآله وسلم فيه وفي أخيه الحسن : «هما ريحانِتا في الدنيا»⁽²⁾.

(1) ممن رواه من الصحابة - كما ورد في بعض المصادر- أبو سعيد الخدري، وابن عمر، وابن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وعلي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، وأبو هريرة، وجابر بن عبد الله، وأسامة بن زيد، ينظر: الترمذي: السنن 5/ 660 رقم 3781، وابن ماجة: السنن 1/ 44 رقم 118، وصححه الألباني. والنسائي: السنن الكبرى 5/ 50 رقم 8169، وابن حنبل: المسند 3/ 3 رقم 11012، وابن حبان: صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان 15/ 411 رقم 6959، والحاكم: المستدرک 3/ 182 رقم 4779، 4780، 3/ 429 رقم 5630، وصححه الذهبي، والطبراني: المعجم الكبير 3/ 35-39 رقم 2598، 2599، 2601، 2602، 2605، 2608، 2616، 2617، 2618، 19/ 292 رقم 650.

(2) البخاري: الجامع الصحيح 3/ 1371 رقم 3543، وينظر ابن حنبل: المسند 2/ 85 رقم 5568، وابن حبان: الصحيح 15/ 425 رقم 6969.

- وكان الرسول صلى الله عليه وآله وسلم يأخذهما ويقول: «اللهم إني أُحِبُّهُمَا فَأُحِبَّهُمَا»⁽¹⁾.

- كما أوضح أن محبَّتهما محبةٌ له، وأن بغضَّهما بغضٌ له⁽²⁾.

- وخصَّ الحسينَ عليه السلام منهما بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حسينٌ مني وأنا من حسين، أحبُّ الله مَنْ أحبَّ حسيناً، حسينٌ سبطٌ من الأسياب»⁽³⁾.

- وقد صحَّ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي وفاطمة والحسن والحسين: «أنا سلَّمٌ لمن سالتم، وحرَّبٌ لمن حاربتهم»⁽⁴⁾.

(1) البخاري: الجامع الصحيح/3/1369 رقم 3537.

(2) ابن ماجة: السنن/1/51 رقم 143، وقال الألباني: حسن، وابن حنبل: المسند/2/288 رقم 7863، والنسائي: السنن الكبرى/5/49 رقم 8168، وأبو يعلى: المسند/11/78 رقم 6215، والطبراني: المعجم الكبير/3/48 رقم 2646، والحاكم: المستدرک/3/181 رقم 4776.

(3) الترمذي: السنن/5/658 رقم 3775، وابن ماجة: السنن/1/51 رقم 144، وابن حنبل: المسند/4/172 رقم 17597، وابن حبان: الصحيح/15/427 رقم 6971، والحاكم: المستدرک/3/194 رقم 4820، وقال = الذهبي: صحيح، والبخاري: الأدب المفرد ص 133 رقم 364، والطبراني: المعجم الكبير/3/32 رقم 2586، 2589.

(4) ابن ماجة: السنن/1/52 رقم 145، والترمذي: السنن/5/699 رقم 3870، والحاكم:

-ومع أن بعضا من حكام بني أمية قد اعتمدوا سياسة التخويف لمن يروي شيئا من فضائل الحسين عليه السلام، حتى أن الأوزاعي (ت157هـ/774م) فقيه أهل الشام لم يروِ إلا حديثا واحدا في فضل الحسين خوفا من بني أمية، ومثله ترك المحدث والمؤرخ الزهري (ت124هـ/742م) التحديث بفضائل أهل البيت رهبا أو رغبا⁽¹⁾، غير أن بعضا منهم كسروا حاجزَ الخوف والرهبة، وحدثوا بما سمعوا، ومنهم واثلة بن الأسقع (ت85هـ/704م) الذي لما جيء برأس الحسين، فلعنه رجلٌ من أهل الشام ولعن أباه، قام وقال: «والله لا أزال أحب عليا والحسن والحسين وفاطمة، بعد أن سمعتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله وسلم يقولُ فيهم ما قال، لقد رأيتني ذات يوم وقد جئتُ النبي صلى الله عليه وآله وسلم في بيت أم سلمة، فجاء الحسنُ فأجلسه على فخذه اليمنى وقبّله، ثم جاء الحسين فأجلسه على فخذه اليسرى وقبّله، ثم جاءت فاطمة فأجلسها

المستدرک/3/161 رقم 4714، والطبراني: المعجم الكبير: 3/40 رقم 2619، وابن حبان: الصحيح/15/433 رقم 6977.

(1) ابن الأثير: أسد الغابة ص 265، ولم يجرؤ كثير من الشعراء على رثاء الحسين مخافة من بني أمية. (الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص 121).

بين يديه، ثم دعا بعلي، ثم قال: «إنما يريدُ الله ليُذِيبَ عنكم الرّجسَ أهل البيت ويُطَهِّرَكم تطهيرا، اللهم هؤلاء أهل بيتي، فأذهب عنهم الرّجسَ وطهرهم تطهيرا»⁽¹⁾.

-ومن الصعب استقصاء ما ورد من هذا القبيل لكثرتة، غير أن اللافت ما ورد في بعض المصادر أن فاطمة أتت النبي صلى الله عليه وآله وسلم في شكواه التي مات فيها، أتته بالحسن والحسين تطلب منه صلى الله عليه وآله وسلم أن يُورثَهما أو يَنحَلهما شيئا، فقال الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «أما الحسن فله هيئتي وسؤددي، وأما الحسين فله جرأتي وجودي»، وفي رواية: «أما الحسن فقد نحلته [أعطيته] حلمي وهيئتي، وأما الحسين فقد نحلته نجدتي وجودي»⁽²⁾.

وهذه نصوص شرعية عرفها الكثير من المسلمين المعاصرين للإمام الحسين عليه السلام، كما عرفناها نحن اليوم بعد أربعة عشر قرنا من

(1) ابن الأثير: أسد الغابة ص265، وينظر: مسلم: الصحيح/4/1883 رقم2424،
والترمذي: السنن/5/663 رقم 3787، والحاكم: المستدرک/3/158 رقم 4705،
والبيهقي: السنن الكبرى/2/150 رقم 2683، وابن حنبل:
المسند/4/107 رقم17029.

(2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق/14/128.

الزمان، وهي تبين أحقية موقف الإمام الحسين، وصوابية ثورته الكريمة، وأفعاله القويمة.

لقد كان الإمام الحسين - مثل أخيه الحسن أيضا - لا يرهّب الموت كما اتضح من مواقف عديدة، ومنها تفضيله الموت على النزول على حكم ابن زياد والي الكوفة؛ وقد رأى في ذلك مصعبُ بنُ الزبير يوم قُتِلَ مَثَلُ الإباء للضيم، والأسوة المحتذاة، فقُتِلَ وقد قال بيتا من الشعر:

وإن الألى بالطفّ من آل هاشم تأسوا فسنوا للكرام التأسيا⁽¹⁾

حتى معاوية كان قد أدرك حقيقة الحسين عليه السلام، وأنه يحمل نفسا أبية لا تلين؛ ففي إحدى المرات أبلغه مروانُ والي المدينة باجتماع الحسين مع أهل العراق بعد موت أخيه الإمام الحسن عليه السلام، فكتب إليه يُهدّده، فأجابه الحسينُ عليه السلام بأنه لا صحة لما بلغه عنه، مع أنه لا يرى عُذرا لنفسه في ترك جهاده، وأخبره بما يعتقدده من أن "أعظم فتنة هي ولايته أمر الأمة"، فعلق معاوية قائلا: "إن أثرنا بأبي عبد الله إلا أسدا"⁽²⁾.

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 2/404، والطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/520. والطف:

أرض كربلاء. والتأسي: هو مواساة بعضهم بعضا في مواجهة جيش الأمويين.

(2) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 14/219، والذهبي: تاريخ الإسلام ص556.

لقد تواتر عن الإمام الحسين عليه السلام يوم اسْتُشْهِدَ نَفْسُ الإِبَاءِ العربي، وتفضيل الموت على الذلة في قوله: «ألا وإن الدعيَّ ابنَ الدعيِّ قد ركَّزَ بين اثنتين: السَّلة⁽¹⁾ أو الذلَّة، وهيهات منا الذلَّة، يأبى الله ذلك لنا ورسولُه والمؤمنون، وحجورٌ طابت، وحُجُزٌ⁽²⁾ طَهَّرَتْ، وأنوفٌ حمية، ونفوسٌ أبية»⁽³⁾.

تلك لُمعة عن شخصية الإمام الحسين ومقامه في الإسلام، تساعد على فهمه باعتباره المحرِّك الرئيس لتلك الثورة الممتدة عبر الزمن إلى يومنا هذا، وقد تبين من خلال النصوص الشرعية التي وردت في فضل الإمام الحسين وعصمته من المعاصي أن تحركاته الثورية كانت تحركات شرعية، كما أن منطق التاريخ والتجارب الإنسانية الحرة برهن أنه كان أهلاً لتلك الثورة، التي حملها الزمان مصباحاً لإضاءة الطريق في كل عتماته المتعاقبة.

(1) السلة بفتح السين، وكسرهما: استلال السيوف. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط 1/923.

(2) الحُجُزُ: جمع حجة، حيث يثنى طرف الإزار، كناية عن العفة.

(3) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 14/219، وابن العديم: بغية الطلب في تاريخ حلب 3/16.

2- أسباب ومنطلقات خروج الإمام الحسين على يزيد

تتضح من دراسة الحالة السياسية القائمة في عهد مؤسس الدولة الأموية الأول معاوية بن أبي سفيان وعلاقة الإمام الحسين بها - أنه ليس السبب الوحيد لخروج الإمام الحسين على سلطة يزيد وثورته عليه هو وصول يزيد إلى الحكم، بل لا يعدو ذلك أن يكون القشة التي قصمت ظهر البعير.

والباحث في علاقة الإمام الحسين عليه السلام بالحوادث التاريخية في عهد معاوية، والتي سبقت تاريخَ خروجه وثورته، يجد ما يشير بوضوح إلى نقمة الحسين عليه السلام على سلطة معاوية نفسه، ولم تأت عملية تنصيب يزيد خليفة بتلك الطريقة إلا قاذحة للشرارة الكامنة تحت رماد الاحتقان الموجود لدى الإمام الحسين وأنصاره، وإذا كان قد ثار على يزيد فلأنه إنما كان فرعاً مبنياً على نظام أبيه الباطل من وجهة نظره، وما بُنيَ على باطل فهو باطل.

وكان معاوية قد تنبأ بثورة الإمام الحسين عليه السلام، والتي وصفها بـ(نزوة في رأس الحسين)، وكان بوده أن تكون في أيامه حتى يستطيع

معالجتها⁽¹⁾؛ لأنه كان يعلم مدى الانحراف والفساد الذي جرّ الأمة إليه، ويعلم مدى حساسية أهل البيت عليهم السلام وعلى رأسهم الإمام الحسين عليه السلام، تجاه وضع كذلك الوضع.

لا يختلف في ذلك الإمام الحسن عن الإمام الحسين عليهما السلام، الذي كان قد وقع صلحا مع معاوية، رأى أنه الخيار الأنسب تجاه تلك الظروف القائمة في عهد معاوية، لقد عرض عليه معاوية أن يوليّه أمرَ محاربة الخوارج الذين خرجوا على معاوية قريبا من الكوفة بعد توقيع الصلح، فأجابه الحسن عليه السلام على هذا العرض، قائلا: "لو آثرتُ أن أقاتل أحدا من أهل القبلة لبدأتُ بقتالك"⁽²⁾.

لم تطب يوما العلاقة بين الإمام الحسين والسلطة الأموية، رغم طول الفترة التي قضاها الإمام الحسين تحت حكم معاوية؛ فلم تُسجّل المصادر - في حد علمي - تردّده على أبواب القصر الأموي مثل آخرين من زعماء قريش وحتى من بني هاشم، وربما منع خروجه الصاحب والمؤثر على بني

(1) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 14 / 206، والمزي: تهذيب الكمال 6 / 414، وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 175، وحمادة: الوثائق السياسية ص 153-154.
(2) البلاذري: أنساب الأشراف 2 / 133، والنويري: نهاية الأرب في فنون الأدب 5 / 397، وابن الأثير: الكامل 2 / 109، وحمادة: الوثائق السياسية ص 98.

أمية الرواة من تخيّل وضع كهذا، حيث يمكن أن تسجّل فيه ظنونهم الإمام الحسين وهو يتبادل الحديث مع معاوية على أرائك أحد قصوره في دمشق، على النحو الذي فعلته بحق آخرين من زعماء بني هاشم، كعبدالله بن جعفر، أو عبدالله بن العباس.

وفي إحدى المرات تنازع الحسين بن علي عليهما السلام والوليد بن عتبة بن أبي سفيان والي المدينة على مال، فتحامل الوليد على الحسين عليه السلام اعتراضا بسلطانه، فهدد الحسين عليه السلام بالدعوة لحلف الفضول⁽¹⁾، فاستعدّ لنصرته عبد الله بن الزبير، والمسور بن مخرمة، وعبدالرحمن بن عثمان، ولما سمع الوليد بذلك أنصفه من حقه⁽²⁾.

(1) حلف الفضول دعى إليه الزبير بن عبدالمطلب، وشهده بنو هاشم وبنو زهرة وبنو تميم، وذكر أنهم تعاهدوا على أن يكونوا مع المظلوم حتى يؤدّى إليه حقه، وفي التآسي في المعاش، وقد عقد منصور قريش من الفجار في ذي القعدة في حوالي 590 م. (جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام 5/177).

(2) ابن هشام: السيرة النبوية 1/266، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 63/210، وابن كثير: البداية والنهاية 2/293، وقد أورد ابن عساكر رواية أخرى تشبه هذه الرواية إلا أن طرفي الخصومة فيها الحسين بن علي ومعاوية نفسه. (تاريخ مدينة دمشق 59/180)، ويمكن الجمع بين الروایتين أن الوليد بن عتبة كان ممثلاً لعمه معاوية في نزاعه مع الحسين.

ولما أراد معاوية تزويج ابنه يزيد بأمّ كلثوم بنت عبد الله بن جعفر - وكان الهدف سياسياً لتذويبِ المواقف الهاشمية ضد تصرّفات سلطته الباغية - أفضل الحسين عليه السلام ذلك الزواج السياسي، وكان خال أمّ كلثوم، وأرضاهما بأعزّ ماله في (البعيعة)، وزوّجها من ابن عمها القاسم بن محمد بن جعفر، مع ظهورِ رضاءِ والدها، الذي لم يشأ أن يفتتت على خالها الحسين عليه السلام⁽¹⁾.

كما وثب مرّة على مالٍ وحُللٍ وعنبرٍ وطيبٍ حُبل إلى معاوية من اليمن، وفرّقه في أهل بيته ومواليه وأتباعه، وكتب إلى معاوية بذلك مبيّناً له حاجته إليه، ومتهماً إياه بإيداعها في خزائن دمشق، أو توزيعها على بني أبيه، وتركه الأمة رهن حاجاتها، فسكت له عنها معاوية⁽²⁾، ولعل الحسين عليه السلام تصرّف تذكيراً للأمة بأنه هو الإمامُ بنصّ جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (الحسن والحسين إمامان قاما أو قعدا)، وبمقتضى حديث الثقلين، وهو قوله صلى الله عليه وآله وسلم: (تركت فيكم ما إن

(1) البعيعة: ماء يبيع غرب المدينة المنورة. انظر الحادثة والموضع في البكري: معجم ما استعجم 2/ 659، وياقوت: معجم البلدان 1/ 469، وينظر ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 57/ 246، وابن حجر: الإصابة 8/ 279.

(2) حمادة: الوثائق السياسية ص 153-154، نقلاً عن ابن أبي الحديد: شرح نهج البلاغة 5/ 471-472.

تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا، كتاب الله، وعترتي أهل بيتي، إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض)، وكان هو البقية الباقية من أعلام أهل البيت، أو أنه رأى أن تلك الطريقة أجدى وأوفق لنفسه من الاستجداء على أبواب البلاط الأموي.

وقد تشير تلك الحادثة إلى شعوره بالمسؤولية تجاه أتباعه وأهل بيته المحتاجين، وكان كريما جوادا، مُسرِّعا في قضاء حاجات أتباعه وأهله وأمة جدّه؛ بدليل أنه قُتل في كربلاء وعليه من الديون سبعون ألف دينار، فباع ولده علي بن الحسين عليه السلام (عين يُحنس) من الوليد بن عتبة بذلك المبلغ ليقضي ديونه⁽¹⁾ التي لا شك أنه أنفقها على المحتاجين والمعسرين.

إن أقرب طريق لمعرفة سبب خروج الإمام الحسين وثورته هو متابعة الوثائق السياسية التي أطلقها عليه السلام عشية خروجه، والتي حصلت بينه وبين أنصاره⁽²⁾؛ لأنها تكشف عن مدى تفكيره وإياهم، وأدبياتهم

(1) ياقوت: معجم البلدان 4/180، والعلي: الحجاز في صدر الإسلام ص 453.

(2) لأن خطاب الشخص لصاحبه وصديقه يبعد فيه التلبس والتغريب ويقرب من الحقيقة التي يشعر بها المتخاطبان على الأقل، بخلاف البيانات والخطب التي توجّه إلى عامة الناس التي يكثر فيها أن تطوي على لون من ألوان التغطية الإعلامية التي لا تكشف الحقيقة.

وثقافتهم التي انطلقوا منها لصنع تلك الأحداث التاريخية، ومن الخطأ أن نستنتق أسباب خروجِه وثقافته وتفكيره من بيانات خصومه وأدبياتهم.

- في حالة الحسين عليه السلام نجده وقد كتب إليه شيعته من أهل الكوفة رسائل يَعدونه فيها بالنصرة، لكن رسالة مشهورة في كتب التواريخ استفتح الطبريُّ بها أحداثَ كربلاء لديه، تلك هي رسالة سليمان بن صُرد الخزاعي، والمسَيَّب بن نجبة الفزاري [صحبايان]، ورفاعة بن شداد، وحبيب بن مظاهر وشيعته من المؤمنين والمسلمين من أهل الكوفة، قالوا فيها:

«أما بعد فالحمد لله الذي قصمَ عدوك الجبار العنيد، الذي انتزى على هذه الأمة، فابتزّها أمرها، وغصّبها فيئها، وتأمّر عليها بغير رضَى منها، ثم قتل خيارها، واستبقى شرارها، وجعل مألّ الله دولة بين جابرتها وأغنياؤها، فبُعدا له كما بَعَدَتْ ثمود، إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعلّ الله أن يَجْمَعَنَا بك على الحق، والنعمانُ بنُ بشير في قصرِ الإمارة لسنا نجتمع معه في جمعة، ولا نخرج معه إلى عيد، ولو قد بلغنا أنك قد أقبَلتَ إلينا أخرجناه حتى نُلْحِقَهُ بالشام إن شاء الله، والسلام ورحمة الله عليك»⁽¹⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 277-278، والبلاذري: أنساب الأشراف 1/ 410، والنويري: نهاية الأرب 5/ 427.

ولما تكاثرت عليه كتب شيعته بالكوفة أجابهم بكتاب قال فيه: «من حسين بن علي إلى الملاء من المؤمنين والمسلمين، أما بعد فإن هانئا وسعيدا قدما عليّ بكتبكم، وكانا آخر من قدم عليّ من رسلِكُم، وقد فهمتُ كلَّ الذي اقتصصتُم وذكّرتُم ومقالة جُلّكم: إنه ليس علينا إمام، فأقبل لعل الله أن يجمعنا بك على الهدى والحق، وقد بعثتُ إليكم أخي وابن عمي، وثقتي من أهل بيتي، وأمرته أن يكتب إليّ بحالكم، وأمركم ورأيكم، فإن كتب إليّ أنه قد أجمع رأيي ملتكم، وذوي الفضل والحجى منكم، على مثل ما قدمت عليّ به رسلِكُم، وقرأتُ في كتبكم - أقدم عليكم وشيكا إن شاء الله، فلعمري ما الإمامُ إلا العاملُ بالكتاب، والآخذُ بالقسط، والدائنُ بالحق، والحابسُ نفسه على ذات الله، والسلام»⁽¹⁾.

إن أهل الكوفة عابوا سلطة معاوية في رسالتهم إلى الحسين عليه السلام هذه - من وجهة نظرهم - بكونه:

- 1- عدوا للحسين وجبارا عنيدا، (والعداوة للحسين ليست عداوة شخصية بل عداوة أهل الحق وأهل الباطل)
- 2- انتزى على هذه الأمة فابتزّها أمرها (سبب ديني سياسي).
- 3- غصب الأمة فيّها. (سبب اقتصادي اجتماعي).

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 278، وابن الأثير: الكامل 2/ 153.

- 4- قتل خيار الأمة واستتبقى شرارها. (سبب اجتماعي وجنائي).
- 5- جعل مال الله دولة بين الأغنياء والجبابة. (سبب اقتصادي اجتماعي).

وكان تركيزهم على قضية تأمر معاوية على الأمة بغير رضی منها؛ بما يشير إلى الأسباب الدينية السياسية العائدة إلى طريقة استيلاء معاوية نفسه على الحكم، فضلا عن يزيد ابنه، والأسباب الاقتصادية والاجتماعية والدينية، وهي تداول أموال المسلمين بين الجبابة والأغنياء، واغتصاب الفقيه، وقتل خيار المسلمين، واستبقاء شرارهم.

ويبدو أنهم يقصدون بذلك أولئك الذين غضبوا لله ولرسوله وللإمام علي عليه السلام، أن يُلعنَ في المساجد، ومنهم حُجْر بن عدي الكندي وأصحابه، وقد ورد على لسان عبيدالله بن زياد - وهو يوبّخ هانئ بن عروة المرادي أحد زعماء ثورة الإمام الحسين - قوله له: «أما تعلم أن أبي قديم هذا البلد، فلم يترك أحدا من الشيعة إلا قتله غيرُ أبيك وغير حجر، وكان من حجر ما قد علمت»⁽¹⁾، وهو نصٌ خطير بقدر ما يشير إلى علاقة زياد بهانئ يبين عظيم الاضطهاد الذي تعرّض له شيعة الإمام علي عليه السلام والمؤمنون بالإسلام نظرية وتطبيقا.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 282.

أما استجابة الحسين عليه السلام لرسائل أهل الكوفة فهي الإقرار بما اتَّهموا به معاوية؛ الأمر الذي يشير إلى أنه كان يشاطرهم تلك الاتهامات ضد معاوية، وأوضح فلسفته السياسية الدينية لأوصاف الإمام الشرعي الذي له حقُّ سياسة الأمة بأنه (العامل بالقرآن، والآخذ بالقسط، والدائن بالحق، والحابس نفسه على ذات الله)، وكأنه يشير إلى أن هذه الأوصاف تنطبق عليه، وأنها لا تنطبق على الحكام الأمويين (يزيد مثلاً).

-وقد وصف الحسينُ عليه السلام معاوية بالطغيان⁽¹⁾، ولم يمنعه من الخروج عنه إلا ما حمل أخاه الإمام الحسن عليه السلام على الصلح، وأنه قد بايع، وإلا حُنكة معاوية وقدرته التأثيرية على الناس، وقد حثه أهل الكوفة على الثورة على معاوية لكنه أمرهم بأن يلزموا بيوتهم بسبب أنه قد أعطى القوم صلحا.

-وفي رسالته التحريضية إلى أشرف البصرة للقيام بنصرته ومؤازرته في الثورة على بني أمية نجده يقول لهم: "أما بعد فإن الله اصطفى محمدا صلى الله عليه وآله وسلم على خلقه، وأكرمه بنبوته، واختاره لرسالته، ثم قبضه الله إليه، وقد نصح لعباده، وبلغ ما أُرسل به صلى الله عليه وآله

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 270، وابن الجوزي: المنتظم 2/ 191، وابن الأثير: الكامل 2/ 151، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 147.

وسلم، وكنا أهله وأولياءه وأوصيائه وورثته، وأحقَّ الناس بمقامه في الناس، فاستأثر علينا قومنا بذلك، فرضينا وكرهنا الفرقة، وأحببنا العافية، ونحن نعلم أنا أحقُّ بذلك الحق المستحق علينا ممن تولاه"، وبعد أن بين لهم أحقيته وأهل بيته بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم دعاهم بقوله: "وأنا أدعوكم إلى كتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وآله وسلم؛ فإن السنة قد أميتت، وإن البدعة قد أُحييت، وإن تسمعوا قولِي وتطيعوا أمري أهدكم سبيل الرشاد، والسلام عليكم ورحمة الله"⁽¹⁾.

وفي هذه الوثيقة حيث ابتدأ هو فيها بمراسلة أهل البصرة، بين لهم أموراً ربما كانوا يجهلونها، أو أراد تذكيرهم بها، ومن تلك الأمور أحقية أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بمقامه من بعده، ثم دعاهم إلى نصرته لإحياء السنة التي أماتها بنو أمية، ولإماتة البدعة التي أحيوها، وهو بهذا يتهم بني أمية بالانحراف الخطير الذي أخرج مسيرة الإسلام عن سننه، ومبادئه، أما تثقيفه لأهل البصرة بثقافة الولاء لأهل البيت، وأنهم الأحقُّ بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ فلأن أهل البصرة كان معظمهم يجهلون ثقافة الانتماء إلى أهل البيت، بخلاف أهل الكوفة فهذه

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3 / 280؛ والبلاذري: أنساب الأشراف 1 / 275؛ وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 157.

الثقافة موجودة لديهم، وهي بين ظهرانهم، وإن عملوا في كثير من محطات تاريخهم على خلافها.

وبهذا يتبين أن الإمام الحسين دعا إلى نصرته باعتباره الإمام الشرعي؛ كونه من أهل البيت الذين هم أحق الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وذلك أحد أسباب ثورته على الحاكم الطاغوي يزيد.

-وفي مسيرة ثورته كرّر الحسينُ الاتهامَ لمنْ أراد أن يثورَ عليهم بأنهم يسرون بسيرة الظلم والجور في الناس، ومنها لما لقيه الحرُّ بن يزيد الرياحي⁽¹⁾، ولم يزل يتّهمهم بذلك حتى آخر لحظات حياته، حيث قال: «إن الدنيا قد تغيّرت وتنكرت، وأدبر معروفها، واستمرت [صارت مرة]، حتى لم يبق منها إلا كصابة الإناء، وإلا خسيس عيشٍ كالمرعى الوبيل، ألا ترون الحقَّ لا يُعمل به، والباطل لا يُتناهى عنه، ليرغب المؤمنُ في لقاء الله، وإنّي لا أرى الموت إلا سعادة، والحياة مع الظالمين إلا برماً»⁽²⁾. وهي

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 206، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 172.

(2) الطبراني: المعجم الكبير 3/ 114 رقم 2842، وابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق 14/ 217، والذهبي: تاريخ الإسلام 2/ 58، وابن الشجري: الأمالي 1/ 132، وحمادة: الوثائق السياسية ص 184.

أفكاراً تُوحى باختياره الواعي لهذا المصير، وهذه الثورة، كيفما كانت نتائجها.

هذه أقوال وأفكار الإمام الحسين عليه السلام، وتلك كانت شهادته، وفيهما ما يدل على اقتناعه الكامل بما كان يؤمن به، وشدة يقينه بما قام به ويجب عليه، ويمكن للمرء تلخيص سبب خروجه في أنه كان أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر⁽¹⁾، وإعادة مسيرة المسلمين إلى جادة الإسلام، ونفي الزيف والتحريف الذي حاول الأمويون أن يلصقوه بالإسلام.

- يسببُ السيد القائد عبدالمملك الحوثي⁽²⁾ ثورة الإمام الحسين عليه السلام بقوله "ثار الإمام الحسين ليخلص الأمة من واقع الظلم الرهيب، ويخروجه جسد قيم الإسلام ومبادئه وصورته الأصيلة"، ويضيف أنه: "انطلق من مقامه الإيماني والأخلاقي العظيم، فيما هو عليه من كمال الإيمان، من التمثُّلُ الحق لمبادئ الإسلام، وأخلاق الإسلام، وقيم الإسلام"، وأن ثورته تلك كانت لأنه "بلغ أرقى درجات الإيمان وكَمالَه

(1) الصلابي: الدولة الأموية 202/2، قال في خروجه: "... تغيير المنكر، ومقاومة للباطل، وإعادة الحكم إلى مساره الإسلامي الصحيح". وقال أيضاً: "فهو [الحسين] يرى أن بني أمية لم يلتزموا حدود الله في الحكم، وخالفوا منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والخلفاء الراشدين".

(2) في خطابه في ذكرى عاشوراء 1439 هـ.

فيما عبّر عنه الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم حينما قال عنه وعن أخيه الحسن عليهما السلام: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة)".
 ويصف موقفه عليه السلام بأنه "موقفٌ ليس متهوراً، وليس عبثياً وليس انتحارياً، بل هو موقفٌ مسؤولٌ بكل ما تعنيه الكلمة، فرضه الله سبحانه وتعالى، ويحدّده الإسلام، ثم هو أيضاً موقفٌ واعٍ، هو نتاجٌ لوعيٍ حقيقيٍ بحتمية ذلك الموقف، ووعيٍ بالبدائل التي يمكن أن تحدث لو لم يتّخذ ذلك الموقف، وهي بدائل فظيعة جداً"، ويضيف السيد القائد بأن الإمام الحسين عليه السلام لم يكن "فقط مجرد مفتٍ أصدر فتوى وأطلقها، بل كان هو في طبيعة ذلك الموقف، متحمّلاً للمسؤولية بكل ما تعنيه الكلمة، هو متحرّكٌ بنفسه، وقدّم هو بنفسه أعظمَ درسٍ للأمة".

ولهذا انتهى السيد القائد إلى القول بأن الإمام الحسين عليه السلام: "حدّد لنا في كل مراحل التاريخ الموقفَ الشرعي، والموقفَ المسؤول، والموقفَ المبدئي، والموقفَ الأخلاقيّ حينما نواجهُ حالة من تلك الحالات التي فُرِضَتْ عليه أن يتحمّل مسؤوليته وأن يتحرّك تحرّكه"، وأن مثل ذلك النوع من الحكام المتسلّطين والجبابرة الطغاة "لا يجوز للأمة أن تسكّت عنهم، ولا أن تُحكّمهم في رقابها وفي مقدّراتها، ولا أن تُدعِنَ لهم

وتستكين لهم ليمارسوا بها وفيها هو ايتهم من الظلم والجبروت والطغيان والعبث والنهب والسلب، فيعبثوا بالأمة ويحولوا حياتها إلى جحيم⁽¹⁾.

-ولما خوَّف بعضهم الإمام الحسين عليه السلام بالموت أجابهم بما يُنبئ عن يقينٍ أودى به إلى الشهادة قائلاً: «أفالموت تخوِّفني؟ لكني أقول كما قال أخو الأوس لابن عمه، وقد لقيه وهو يريد نصره رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقال: أين تذهب فإنك مقتول، فقال:

سأمضي وما بالموت عار على الفتى إذا ما نوى حقاً وجاهد مسلماً
وأسى الرجال الصالحين بنفسه وفارق خوفاً أن يعيش فيرغماً
فإن متُّ لم أندم وإن عشتُ لم ألم كفى بك موتاً أن تُذل وتُرغماً⁽²⁾

- وقد روت بعض المصادر⁽³⁾ أن الحسين عليه السلام أجاب على رسالةٍ لمعاوية، وقد اتهمه فيها بالسعي في أمورٍ تتنافى مع بيعته له، فأكد الحسين عليه السلام في إجابته أنه لا يزال على بيعته، وإن كان يرى أن من الواجب عليه جهاداً معاوية، ثم عدَّد في تلك الرسالة الجوابية موجبات

(1) خطاب السيد القائد عبد الملك بدر الدين الحوثي، في ذكرى عاشوراء 1439 هـ.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/307.

(3) حمادة: الوثائق السياسية ص 172 - 173، نقلاً عن ابن قتيبة: الإمامة والسياسة 1/282

رؤيته الثورية تلك، ومنها قتله حجر بن عدي الكندي وأصحابه ظلماً وعدواناً، واستخفافه بعهد الله، ومنها قتل عمرو بن الحمق الخزاعي، وادعاؤه زيادا، ثم تسليطه إياه على أهل الإسلام يقتلهم ويقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، وأنه (أي الحسين عليه السلام) لا يعلم فتنة أعظم من إمارة معاوية على الأمة، ولا يعلم أفضل من جهاده، وذكر معاوية بأن الله لن ينسى له قتله الناس بالظنّة، وأخذّه بالتهمة، وتأميره يزيد ولده صبياً يشرب الشراب، ويلعب بالكلاب.

بل وفي مصادر أخرى توصف بالاعتدال تجاه بني أمية روايةٌ تثبت أن شيئاً من ذلك القبيل حدث بين معاوية والحسين عليه السلام، وأنه أجاب عليه بتكذيب تلك التهمة، مع تأكيده وجهة نظره الثورية ضده بقوله: «وما أظن لي عذرا في ترك جهادك، ولا أعلم فتنةً أعظم من ولايتك أمر هذه الأمة»، وكان ذلك عقيب رفع مروان والي المدينة آنذاك تقريراً إلى معاوية، أفاد بتحركاتٍ ينفذها شيعة الحسين يدعونه إلى خلع معاوية⁽¹⁾.

(1) ابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 14 / 205 - 206، والمزي: تهذيب الكمال 6 / 413 -

414، وابن العديم: بغية الطلب 3 / 25، وابن كثير: البداية والنهاية 8 / 162.

كما ذُكر أن جعدة بن هبيرة بن أبي وهب المخزومي وشيعة الحسين في الكوفة حثوا الإمام الحسين على الخروج في عهد معاوية بعد وفاة الإمام الحسن عليه السلام، وذكروا في رسالتهم له أنهم عرفوا رأي أخيه الحسن في دفع الحرب وعرفوا رأيه، وهو «اللين لأوليائك، والغلظة على أعدائك»، لكنه رفض دعوتهم تلك، وأجابهم بخلاف ما توقعوه عنه، وهو قوله: «أما أنا فليس رأيي اليوم ذاك، فالصقوا - رحمكم الله - بالأرض، واكمنوا في البيوت، واحترسوا من الظنة ما دام معاوية حيا، فإن يُحدث الله به حدثا وأنا حيٌّ كتبتُ إليكم برأيي»⁽¹⁾، وهذا يبين واحدية موقفه وموقف أخيه الإمام الحسن في قضية الصلح المؤقت بينهم وبين معاوية.

-ولا أحد يدعي أن سلطة معاوية كانت تضارع أو حتى تقارب سلطة المشائخ الثلاثة (أبي بكر وعمر وعثمان) في تطبيق الإسلام ومثله العليا، حتى معاوية نفسه لم يدع ذلك؛ بل خطب في أهل المدينة يوما قائلاً لهم: «فقبلونا بما فينا، فإن ما وراءنا شرٌّ لكم، وإن معروفَ زماننا منكرٌ زمانٍ

(1) أبو حنيفة الدينوري: الأخبار الطوال ص 221 - 222، والبلاذري: أنساب الأشراف

401 / 1، وحمادة: الوثائق السياسية ص 126.

مضى، ومنكرُ زماننا معروفُ زمانٍ لم يأت⁽¹⁾، وهو نصٌّ يبيِّن انقلابه على ما كان يجري حتى في أيام المشائخ، وقال مرةً أيضاً: «إن أبا بكر لم يُردِ الدنيا ولم تُردْه، وأما عمر فأرادته الدنيا ولم يُردْها، وأما عثمان فنال منها ونالت منه، وأما أنا فمالت بي ومَلتُ بها، فهي أُمي وأنا ابْنُها، فإن لم تجدوني خيرَكم فأنا خيرٌ لكم»⁽²⁾؛ وهو بهذا لا يكتفي باختيارِ سلوكِ منحرفٍ ومخالفٍ لما كان عليه الوضع في أيام المشائخ، بل ويتبجَّح بذلك الوضع المنحرف بكل صراحة.

-ورغم وقوع الشيعة والخوارج على طرفي نقيض، إلا أن خصومتهم لبني أمية جمعتهم في اتجاه واحد، ولهذا رأيناهم هم أيضاً ينقمون على معاوية ما نقمه الشيعة والحسينُ عليه السلام؛ فقد ثار المستورد بن علفة من الخوارج في عهد معاوية، وسجّل في برنامجه السياسي نقمته على السلطة الأموية بقوله: «فقد نقمنا على قومنا الجورَ في الأحكام، وتعطيلَ الحدود، والاستتارَ بالفيء»، ثم دعا إلى الكتاب والسنة... إلخ⁽³⁾؛ وهذا

(1) ابن عبد ربه: العقد الفريد 1/ 500، والزمخشري: ربيع الأبرار 1/ 86، وحمادة: الوثائق السياسية ص 126.

(2) ابن عبد ربه: العقد الفريد 2/ 127، وحمادة: الوثائق السياسية ص 126.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 267، وحمادة: الوثائق السياسية ص 154.

يبين أن فئات الأمة على اختلاف توجهاتها كانوا يعتقدون أن بني أمية انحرفوا عن جادة الإسلام، وارتكبوا ما يستدعي الثورة عليهم.

- ثم أحدث معاوية مخالفات خطيرة وقطعية للشريعة الإسلامية؛ فكانت على سبيل المثال حادثة استلحاق معاوية لزياد في النسب من الحوادث التي استنكرها علماء المسلمين؛ لكونها مخالفة صريحة وواضحة لقول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «الولد للفراش وللعاهر الحجر»، وكان استلحاقه أول ما رُدت به أحكام الشريعة علانية - على حد وصف المؤرخ ابن الأثير⁽¹⁾..

- عامل خراسان (الحكم بن عمرو الغفاري)، كان قد غزا جبلاً للكفار، وغنم غنائم عظيمة هناك، فكتب إليه (زياد) بأن: «أمير المؤمنين معاوية كتب إلي أن أصطفي له كل صفراء وبيضاء»، لكن (الحكم) رفض هذا الأمر، ووزع الغنائم على المقاتلين بعد تخميسها، ولم يعبأ بتهديد (زياد) له بالقتل، ثم منع موت (الحكم) المفاجئ زيادا من تنفيذ ما كان هدده به⁽²⁾؛

(1) الكامل 2/ 121.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 216 - 217، وحمادة: الوثائق السياسية ص 161.

وهذا يبيّن أن بني أمية قد جعلوا من البلدان الإسلامية مزرعة خاصة بهم، وبأولياّتهم، وخواصهم.

-لقد أعاد (معاوية) سننَ (الأكاسرة) في تحصيل هدايا (النيروز)⁽¹⁾ و (المهرجان)⁽²⁾، والتي كان قد أسقطها المشائخ قبلا، لكنه أعاد فرضها وجبايتها، فكان يُجَبَى إلى خزائنه الخاصّة منها عشرة ملايين درهم⁽³⁾.

-كما أنه استصفى الصوافي في كلِّ من (العراق) و(الشام) و(الجزيرة) و(اليمن) و(مكة) و(المدينة) لنفسه خالصة وأقطع منها لأهل بيته وخاصّته، فكان ما يُجَبَى إليه من صوافي (العراق) وحدها مئة مليون درهم⁽⁴⁾.

(1) النوروز أو النيروز، بالفارسية: اليوم الجديد، وهو أول يوم من أيام السنة الشمسية الإيرانية، ويوافق اليوم الحادي والعشرين من شهر مارس من السنة الميلادية، وهو أكبر الأعياد القومية للفرس. (المعجم الوسيط).

(2) احتفال الاعتدال الخريفي، وهي كلمة فارسية مركبة من كلمتين، الأولى مهر ومن معانيها الشمس، والثانية جان ومن معانيها الحياة أو الروح، والاحتفال يقام ابتهاجا بحادث سعيد، أو إحياءً لذكرى عزيزة، كمهرجان الأزهار، ومهرجان الشباب، ومهرجان الجلاء. (المعجم الوسيط).

(3) الدوري: مقدمة في الاقتصاد العربي ص 31.

(4) اليعقوبي: التاريخ 1/ 202، والدوري: مقدمة في الاقتصاد العربي ص 31.

-وبالنسبة لتعطيله الحدود، فعلى سبيل المثال: كان يعلم أن واليه على المدينة الوليد بن عتبة يعاقِر الشراب مع عبدالرحمن بن سيحان الشاعر، وقد فضح أمرهما مروان بن الحكم بقبضه على ابن سيحان، وهو خارج من قصر الوليد ثَملاً في آخر الليل، وأراد الوليد أن يدرأ عن نفسه التهمة، فجلد ابن سيحان الحدَّ، فشكاه ابن سيحان إلى معاوية، فكتب معاوية إلى الوليد قائلاً: «فالعجب لضربك ابن سيحان فيما تشرب منه، ما زدت على أن عرّفت أهل المدينة ما كنت تشربُه مما حرم عليك، فإذا جاءك كتابي هذا فأبطل الحدَّ عن ابن سيحان، وطُف به في حِلَق المسجد، وأخبرهم أن صاحب شُرطك تعدى عليه»⁽¹⁾.

-ولما خلي الجوّ لمعاوية في التسلُّط على الأمة كان كثير من علماء المسلمين وشيعة الإمام علي عليه السلام ينظرون إليه على أنه مُغتصبٌ لأمر الأمة، ولم ينسوا ما حدث في صفين من دماء، كما أنهم طالما ردّوا التوصيف النبوي بحقه، وهو أنه الفئة الباغية التي تقتل عمار بن ياسر⁽²⁾،

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 2/124، وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 34/179 -

180، والأصفهاني: الأغاني 2/242، وحمادة: الوثائق السياسية ص 161.

(2) البخاري: الجامع الصحيح 1/172 رقم 436، ومسلم: الصحيح

42915 رقم 2235 /4.

وبالمقابل فإن شيعة معاوية هم الآخرون لم ينسوا أحقادهم العميقة وجروحهم الأليمة التي وقعت لهم على صفحات سهل صفين.

- وكانت السلطة الأموية تتعامل مع أفراد الأمة المتمين لأهل البيت من منظور الانتقام الشخصي بسبب مواقفهم السابقة المؤيدة له، وعلى سبيل المثال رشح زيادُ رجلين للولاية على ثغر الهند هما: (الأحنف بن قيس التميمي) و(سنان بن سلمة)، لكن معاوية رفض الأحنف قائلاً: «بأي يومي الأحنف نكافيه؟ أبخذلانه لأم المؤمنين [يوم الجمل]، أم بسعيه علينا في صفين؟»⁽¹⁾، كما أنه أمر بعزل حريث بن جابر الحنفي من ولايته، وقد كان أحد قواد الإمام علي في صفين؛ وقال معللاً لذلك العزل: «لا أذكر مقاماته في صفين إلا كانت حزازة في صدري»⁽²⁾.

- واتخذت سلطة معاوية من سياسة لعن الإمام علي عليه السلام على المنابر هدفاً سياسياً وثقافياً لإسكات أي صوتٍ يريد تثوير الناس ودعوتهم

(1) ابن قتيبة: عيون الأخبار ص 97، والبلاذري: أنساب الأشراف 4/ 177، والزمخشري:

ربيع الأبرار 1/ 88، وحمادة: الوثائق السياسية ص 159.

(2) الزمخشري: ربيع الأبرار 1/ 88، والتوحيدي: البصائر والذخائر 1/ 496، والآبي: نثر

الدرر 1/ 346، وحمادة: الوثائق السياسية ص 159.

إلى أئمة أهل البيت، باعتبارهم رموزَ العدالة ودعاة الإسلام المحمدي، فأراد الأمويون التحقيرَ لزعيمهم، ومَن يفاخرون به، إلا أن تلك السياسة جرّت عليهم انتقاداتٍ عديدة، والتي منها الحكم عليهم بالنفاق؛ بدليل قول الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لعلي عليه السلام: «لا يحبك إلا مؤمن ولا يبغضك إلا منافق»⁽¹⁾.

كان معاوية في آخر خطبة الجمعة يقول: «اللهم إن أبا تراب ألحدّ في دينك، وصدّ عن سبيلك، فالعنه لعنا وبيلا، وعدّبه عذابا أليما»، وكتب بذلك إلى الآفاق، ولم يتوقّف هذا اللعنُ إلا في أيام عمر بن عبدالعزيز، وقد استنكرت أم سلمة هذه الطريقة، وأرسلت إلى معاوية تقول له: «إنكم تلعنون الله ورسوله على منابركم، وذلك أنكم تلعنون علي بن أبي طالب ومَن أحبّه، وأنا أشهد أن الله أحبّه ورسوله»⁽²⁾. ومثل هذا لا يمكن مروره على المتقين من هذه الأمة بدون الحكم على بني أمية أنهم على نقيضٍ مع الإسلام، يستوجب الخروج والثورة عليهم.

(1) من الأحاديث المتواترة باللفظ النبوي أن حب الإمام علي من الإيمان، وبغضه من النفاق. ينظر المؤيدي: لوامع الأنوار 2/ 657.

(2) ابن سعد: الطبقات 5/ 394، والبلاذري: أنساب الأشراف 3/ 69، وابن الأثير: الكامل 2/ 364، وابن عبد ربه: العقد الفريد 2/ 127، وابن عساکر: تاريخ مدينة دمشق 50/ 92، وحمادة: الوثائق السياسية ص 106، 166.

لقد نُقِلَتْ حوادثٌ كثيرةٌ وفيها سعيٌ معاوية لإقامة صرح هذه القضية التي لا بد أنها استثارت كل مؤمن صادق الإسلام، ويعرف دور الإمام علي في تشييد صرحه، ولا بد أنها حرّكتهم نحو الثورة؛ ففي إحدى المرات أمر معاوية شداد بن أوس بانتقاص علي عليه السلام. ولما زاره عقيل بن أبي طالب طلب منه أن يلعن أخاه عليا على المنبر. ثم حتى بعد أن استقرت له الأمور طلب منه بعض بني أمية أن يكف عن هذا اللعن، بحجة أنه لم يبق له لزوم، لكنه رفض ذلك الطلب، وقال: "لا والله حتى يربو عليه الصغير، ويهرم الكبير، ولا يذكر له ذاك فضلا"⁽¹⁾.

كانت هذه القضية سببا في نشوء احتجاجات المتقين من المسلمين؛ فقد كان حجر بن عدي الكندي - وهو من أفاضل الصحابة، ومن مستجابي الدعوة - يعترض والي الكوفة المغيرة بن شعبة إذا لعن عليا عليه السلام، أو نال منه في المسجد، ولما خلفه زياد على الكوفة بشدته، واستمر في تلك الطريقة اعترضه حجر، غير أن زيادا لم يتحمّل ذلك الاعتراض الذي كسر من هيئته، وهو الذي طالما اتخذ التدابير المتوحّشة لصناعتها، فانتهى

(1) حمادة: الوثائق السياسية ص 104، 105.

الأمر بحجر - المعترض على لعن الإمام علي - إلى الإعدام مع مجموعة من أصحابه، بذريعة أنهم خرجوا على الدولة الأموية، وهم لم يخلعوا يد طاعة، ولم ينزعوا عن بيعة⁽¹⁾.

- ويبدو أن مقتل حجر بن عدي ورهطه ترك آثارا سلبية وخطيرة؛ إذ أضافت رصيذا كبيرا في درجة الاحتقان لدى المتقين من المسلمين، وشيعة الإمام علي عليه السلام، بل لقد كانت مثار استنكار أم المؤمنين عائشة، وعبدالله بن عمر، الذي علاه النحيب عند بلوغه خبر مقتل، والربيع بن زياد الحارثي الذي كان عاملا لمعاوية، فدعا الله بقبض روحه؛ لأنه لم يعد يحب الحياة بعد حجر، كما أن الحسن البصري وابن سيرين أشادا بحجر، وبصبره عند مقتله على ذلك النحو⁽²⁾.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 228، وفيه أنه عرض عليهم قبيل قتلهم البراءة من علي واللعن له، ويطلق سراهم، فرفضوا. وينظر ابن عبد البر: الاستيعاب 1/ 330-332، وابن الأثير: الكامل 2/ 135، ومن طرف القول أن مما تضمنته الشهادة الملققة من أعيان الكوفة ضد حجر وأصحابه: أنه كان يظهر عذر أبي تراب والترحم عليه، والبراءة من عدوه وأهل حربه. (الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 266، وحمادة: الوثائق السياسية ص 148).

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب 1/ 332، وابن الأثير: الكامل 2/ 135، والمزي: تهذيب

وقد كتب الحسينُ عليه السلام إلى معاوية كتاباً عدّد عليه أموراً مستنكرةً في الإسلام، ومنها استلحاق زياد، وقتل حجر بن عدي، وأغلظ له فيه لدرجة أن معاوية كان يشكو من ذلك الكتاب إلى مَنْ حضره من الناس⁽¹⁾.

- كما أنه أتبع أساليبَ همجية متوحّشة في متابعة شيعة الإمام علي عليه السلام ومعاوية ذويهم، قال ابن طيفور البغدادي: "لما قتل عليّ بن أبي طالب عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته"، ومن أولئك عمرو بن الحمق الخزاعي، ولما استطاع الفرار منهم، عمدوا إلى زوجه آمنة بنت الشريد، فارتُهنت وحُيسّت في دمشق بجريرة زوجها لمدة سنتين، حتى تمّ قتله على يد والي الموصل عبد الرحمن بن أم الحكم الثقفي، ابن أخت معاوية.

ثم حملوا رأسه من الأمصار، وأمر معاوية برميّه بطريقة متوحّشة إلى زوجته الحبيسة في زنازنتها، لكنها كانت أصلب إرادة منهم، حين علّقت

الكمال 9/79، والطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/220، والنويري: نهاية الأرب 5/415.

(1) البلاذري: أنساب الأشراف 1/410.

على ذلك بقولها: "نفيتموه عني طويلاً، وأهديتموه إليّ قتيلاً، فأهلاً وسهلاً بمن كنتُ له غيرَ قالية، وأنا له اليوم غير ناسية، ارجعْ به أيها الرسول إلى معاوية، فقل له ولا تطوه دونه: أَيْتَمَّ اللهُ وَلَدَكَ، وَأَوْحَشَ مِنْكَ أَهْلَكَ، وَلَا غَفَرَ لَكَ ذَنْبَكَ"⁽¹⁾.

-ولما مات الحسنُ عليه السلام مَنَّعَ بنو أمية من دفنه مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في بيته، حتى مع إذن عائشة بذلك، ولما عزم الحسين عليه السلام على دفنه هناك لبس مروان بن الحكم ومن معه السلاح، غير أن الحسن عليه السلام كان قد رَخَّصَ لأهله إن منعوهم أن يدفنوه في البقيع بجانب أمه، فتمَّ دفنه هناك⁽²⁾.

وهكذا يتبيّن أن ليلاً من الاستبداد الطويل والانحراف العميق صنعته السلطة الأموية المتوحشة، جثم على صدر الأمة الإسلامية، فلم يترك لمثل الحسين عليه السلام وشيعته والمتقين من هذه الأمة أن يسكتوا عليه؛ الأمر الذي يمكن أن يُفسَّر تلك الثورة وذلك الخروج الثوري المسلَّح في سياقه، وليس من المقبول تاريخياً استبعاد مثل تلك الظروف والأسباب التي

(1) ابن طيفور: بلاغات النساء ص 76-77، وابن الأثير: أسد الغابة 2/347، وابن عساکر:

تاريخ مدينة دمشق 69/40، وابن كثير: البداية والنهاية 8/48.

(2) ابن عبد البر: الاستيعاب 1/389.

تفرض على كل مسلم حر أن يثور من أجلها، وليس الإمام الحسين عليه السلام فقط، وهي أسباب وظروف بالتأكيد أنها لم ترض الحسين، بل ولا من هو أقل شأنًا وأضعف شعورًا منه، لا سيما وتلك النفسية الصارمة المؤمنة والمستشعرة للواجب الديني كانت نفسيته، وأنه البقية الباقية من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم.

ولكنه كان قد بايع معاوية بيعة الاضطراب تلك، وهو لن يتقصها حتى لا يظهر بمظهر الخائن في واجهة الإعلام الأموي؛ لذا فمن المرجح أنه كان يتربص به ريب المنون، وريثما يتوقر الوعي المطلوب من الأمة، وحتى تكثر أعداد الثوار المجاهدين، وحيث يخرج على حاكم لم يسبق أن بايع له أبداً.

لقد كان الحسين صادقاً مع نفسه؛ إذ لم يثر على معاوية؛ التزاماً بنود الصلح، ولكنه لم يرض ببيعة يزيد؛ ولهذا فقد اتخذ موقفاً واضحاً من أول يومٍ وإلى آخر لحظة في حياته، لم يلن فيه ولم يستكن، وهو (أن لا بيعة)، وهو الموقف الذي قد يراه الضعفاء المهزبل - الذين لا يقدرون قيمة الحق - تهوُّراً وجرأةً خطيرة.

وبهذا العرض الطويل للملابسات - التي سبقت خروج الحسين عليه السلام المسلح، والتي لن يفهم خروج الحسين خارج إطارها إلا نوعاً من

العبث الصيباني - يتبين أن ثورة الإمام الحسين كانت نوعاً من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لإعادة إصلاح ما فسد من الأوضاع الإسلامية، وإحياء القرآن الكريم في واقع الأمة، وإماتة البدع الجاهلية التي أحيها بنو أمية، في عهد قريبٍ من الالتزامات الدينية المثلى.

-ومهما يكن من اختيارٍ معاوية لسياسة المكر والمخادعة والملاينة وشراء الذمم بالأموال، إلا أن ما وقع من أخطاء وقسوة صارمة من قبل أمراءه على الولايات فإنه لن يبرأ منها؛ باعتباره خليفتهم، والقرار قراره لا قرارهم، وسلطته أعلى من سلطاتهم، بل وقد كان يريد ذلك الدور منهم، في الوقت الذي يريد أن يظهر فيه أنه متسامح وملاين، وفيما مر من برامج ولاته تبدو الجفوة والعلاقة الخشنة بين أولئك الولاة ورعاياهم، وكان منهم زياد الذي اتخذ حزمة من الإجراءات الوحشية التي حفظت الأمن، ولكن في ظل الخوف والقمع والترهيب، وثبت سلطته بالقتل الذريع والحبس الشنيع على الظنة والتُّهمة، وقد وُصف زياد بأنه أول من «جرّد السيف، وأخذ بالظنة، وعاقب على الشبهة»⁽¹⁾.

-وجاء عبيدالله بن زياد كأبيه، وقد ولاه معاوية البصرة سنة 55هـ/ 674م، وفي مرة أتى بامرأةٍ اتُّهمت من قبل إعلامه بأنها من

(1) البلاذري: أنساب الأشراف/ 2/ 152، وابن الأثير: الكامل/ 2/ 124.

الخوارج، فعَبِثَ بها قتلا؛ إذ قَطَعَ رِجْلَهَا، فقالت: «إن في الفكر في هول المُطَّلَعِ لَشُغْلًا عن حديدتِكُم هذه»، ثم قَطَعَ رِجْلَهَا الأخرى وجَدَّبَهَا، فوَضَعَتْ يدها على فرجها، فقال: لتسترينه؟ فقالت له: لكن أملك لم تكن تستره⁽¹⁾، وهذا نموذج واحد يعبر عن وحشية بني أمية وخستهم ودناءتهم، وفضاعتهم ضد النساء، فكيف كان حالهم مع الرجال؟!.

- وقد اتَّخَذَ (ابنُ زياد) موظفًا للتعذيب، دعاه (صاحبَ العذاب)، وفي آخر عمره أراد تعذيبَ الصحابي قيس بن خرشة القيسي، الذي دعا له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن لا يضرَّه بشر، وكان قد بايعه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على أن يقول الحق، فكان يعيبُ زيادا وابنه عبيدالله، فدعا به عبيدالله، فجاهره بأنه وأباه تركوا العمل بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فطلب ابنُ زياد من (صاحب العذاب) ذلك أن يعدِّبَ (قيسا) الصحابي، لكن الموت كان أسرعَ إلى (قيس) من (صاحب العذاب)؛ إذ مات في تلك اللحظة قبل وصول

(1) ابن طيفور: بلاغات النساء ص 164-165، والآبي: نثر الدر 1/287.

(صاحب العذاب)، وحينئذ تحققت معجزة دعوة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم⁽¹⁾.

- وما حصل في كربلاء من فظائع تجاوزت مروءة العرب ومقتضى كونهم أحرارا، ثم ما حدث في وقعة الحرة بالمدينة المنورة، وإباحتها ثلاثة أيام، وانتهاك أعراض نساءها، ثم تحريق الكعبة، وغيرها من مخالفات خطيرة لآداب الحرب تتنافى والقيم الإنسانية، كل ذلك دليلاً على أن تلك السلطة كانت أبعد ما تكون عن قيم الإسلام، فإذا كان ذلك صنيعهم بالحسين ومن معه، ومع أبناء المهاجرين والأنصار في المدينة ومكة، وهم من هم مكانة في الإسلام وقرابة من النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فيترجح أن الأمر مع غيرهم كان أعظم وأفظع وأطم وأشنع.

- ثم لم يكن ليزيد بعد وصول السلطة إليه من هم إلا بيعة الحسين وبيعة أولئك الرافضين لبيعته في حياة أبيه والتشديد عليهم من أجلها، بحيث لم يترك للإمام الحسين أي خيار غير خيار المواجهة الفورية، وربما لو ترك ولم يُطلب منه البيعة بالقسر والجبر لما عجل بالخروج على وجه السرعة

(1) ابن عبد البر: الاستيعاب ص 398، وابن حجر: الإصابة 5/ 464، وابن الأثير: أسد الغابة ص 917.

تلك، وبتلك الطريقة التي ضاقت عليه فيها الخيارات، ووضَعته في محل الدفاع، ووضعية الدفاع لا تخضع لمقاييس الأثمان التي يجب أن تُدفع في سبيله⁽¹⁾.

-لقد كان مقتنعا بوجوب الثورة على الظالمين الجائرين، ولكنه ربما كان له خيار آخر في توقيتها لو ترك له الخيار في ذلك؛ فهناك رواية من طريق عوانة بن الحكم المعروف بميوله الأموية⁽²⁾ تذكر أن الحسين عليه السلام لما سُئِلَ عن ما أعجله عن الحج وخروجه إلى العراق، فأجاب عليه السلام بقوله: «لولم أعجل لأخذت»⁽³⁾، كما أنه هو قد علل خروجه بتلك الصورة لما قال لأخته زينب: «لو ترك القطا لنا»⁽⁴⁾.

(1) اتهم عبدالله بن عباس يزيد بن معاوية في كتاب أرسله إليه أنه أطرد الحسين في الحرم، ودس إليه الرجال لقتله. (البلاذري: أنساب الأشراف 2/ 185، ومجهول: أخبار الدولة العباسية ص 86، وحمادة: الوثائق السياسية ص 212).

(2) ياقوت: معجم الأدباء 2/ 233.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 296، وابن كثير: البداية والنهاية 8/ 167، والشجري: الأمالي 1/ 137.

(4) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 317، والأصفهاني: مقاتل الطالبين 83، والنويري: نهاية الأرب 5/ 442، والشجري: الأمالي 1/ 147، وهو مثل يضرب لمن حُجِلَ على مكروه. (النويري: نهاية الأرب 1/ 263).

لقد كانت معادلة عسيرة وشاقة؛ إذ كان يزيد يحِرص على مبايعة الحسين له ولو قسرا وبأي ثمن، وكان الحسين عليه السلام حريصا على أن لا يبايع مهما كلف الأمر؛ فكان لا بد من المواجهة وركوب الأخطار. -وقطعا فإن الحسين عليه السلام - وقد كان على درجة عظيمة من التقوى، وهو سيدُّ شباب أهل الجنة - كان يتأتم من أن يُقرَّ بولاية يزيد المجاهر بالفسوق والمروق عن الدين؛ لأن البيعة له - وهو الناقيم على أبيه، والذي كان لا يجاهر بالمعاصي مثله - تعني الإقرار بسياساته التي لا ترضي الحسين عليه السلام، وتعني إضفاء الشرعية على من يجب سحبُ أية شرعية عنه، وتعني السكوت عن قول الحق، والهروب من واجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، من البقية الباقية من أهل البيت الأطهرين، وقد روي عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: «سيد الشهداء حمزة بن عبد المطلب، ورجل قام إلى إمام جائر، فأمره ونهاه فقتله»⁽¹⁾.

- ثم أظهر الحسين عليه السلام أسباب ثورته بشكل جامع في آخر أيام حياته، في موقف لا يُحسد فيه، يوم حاصره الحرُّ الرياحي قبل مقتله بأيام يسيرة، فقال: «أيها الناس إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال:

(1) الحاكم: المستدرک 3/ 215 رقم 4884، وصححه الألباني، محمد ناصر الدين في كتابه (السلسلة الصحيحة 1/ 373 رقم 374).

(من رأى سلطانا جائرا مستحِلا لحُرَمِ الله، ناكثا لعهد الله، مخالفا لسنة رسول الله، يعمل في عباد الله بالإثم والعدوان، فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول - كان حقا على الله أن يُدخِلَه مدخله)، ألا وإن هؤلاء قد لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحلّلوا حرامه»⁽¹⁾.

إن هذا النص يبين بوضوح أسباب ثورته؛ ذلك أنهم جائرون، ويستحلون حُرَمَ الله، وينكثون عهد الله، ويخالفون سنة رسول الله، ويعملون في عباد الله بالإثم والعدوان، وانطلق في ثورته هذا من شعوره بالواجب عليه، خشية من وقوعه في إثم التقصير، وأن يُدخِلَه الله مدخلهم، ثم أكد ذلك بأنهم لزموا طاعة الشيطان، وتركوا طاعة الرحمن، وأظهروا الفساد، وعطّلوا الحدود، واستأثروا بالفيء، وأحلوا حرام الله، وحلّلوا حرامه". وهو نصٌ يكشف مدى الخروج السافر لبني أمية على الإسلام، ومدى المسؤولية التصحيحية التي تحمّلها الإمام الحسين عليه السلام من خلال ثورته هذه.

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك/3/307، والبلاذري: أنساب الأشراف/1/414، وابن الأثير: الكامل/2/165، والنويري: نهاية الأرب/5/437.

يقول السيد القائد عبدالملك الحوثي⁽¹⁾ عن علاقة الحالة الأموية بالإسلام: إنها "مثّلت انقلاباً على أهم قيم الإسلام، وأعظم مبادئ الإسلام، وهي حالة لا يرتضيها الإسلام أبداً مهما كان الثمن في سبيل مواجهتها والتصدي لها والحيلولة دونها"، ويضيف أن "ذلك النوع من الحكام الجائرين، يجب على الأمة مواجهتهم كمسؤولية دينية، وليس مجرد مطالب عادية يمكن أن تتبناها جماهير الأمة كحالة سياسية اعتيادية قابلة للأخذ والرد والتنازل والتكاسل عن الإصرار عن الوصول إلى تحقيقها"، ويختم أن "مواجهة ذلك النوع من الحكام الجائرين مبدأً إسلامي، وطريقةً دينية، أهميتها بدرجة أن مَنْ لا يتحمّل هذه المسؤولية، ولا يتحرّك ضمن هذه المسؤولية، فإن موقفه عند الله كما عبّر عنه رسول الله، أنه محسوبٌ لصالح أولئك الجائرين، محسوبٌ لصالح أولئك المستكبرين، وبالتالي مصيره مصيرهم، ولهذا قال: (فلم يغيّر عليه بفعل ولا قول كان حقاً على الله أن يُدخله مُدخله)".

- ثم لما وصل الإمام الحسين إلى مكة في الثالث من شعبان سنة 60هـ/ 679م، ومكث فيها بضعة أشهر⁽²⁾، كان يستقبل أهلها والمعتَمرين

(1) خطاب السيد القائد عبدالملك بدر الدين الحوثي في ذكرى ثورة عاشوراء 1439هـ.

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 393.

بها من الآفاق الذين يأتون لزيارته، وفي هذه المدة جاءتته كتب أهل الكوفة ووفودهم، حتى بلغت رسائلهم إليه أكثر من 72 صحيفة، كل صحيفة من اثنين أو ثلاثة أو أربعة⁽¹⁾.

ولما رأى كثرة الدعاة له إلى التحرك ضد الأمويين رأى «أنه لا بد له من مقاومة الظلم، وإزالة المنكر، وأن هذا أمر واجب عليه»⁽²⁾، على حد عبارة المؤرخ الصلابي، الذي يميل إلى بني أمية، والذي يضيف قائلاً: «وقد وصل إلى قناعة راسخة، وبني قراره السياسي على فتوى اقتنع بها في مقاومته للحكم الأموي، فهو يرى أن بني أمية لم يلتزموا حدود الله في الحكم»، وأنه بنى فتواه «بتسلسلٍ منطقي، فاستبداد بني أمية، والشك في كفاءة وعدالة يزيد توجب عدم البيعة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر واجبٌ على علماء الأمة، ومن أكبر المنكر حكم بني أمية واستبدادهم، وبما أن الحسين ليس في عنقه بيعة، وهو أحد علماء الأمة وسادتها - فهو أحق الناس بتغيير المنكر»، وعلى هذا فتورته عليه السلام في رأيه

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 277.

(2) الصلابي: الدولة الأموية 2/ 206.

الصلابي: «تغييراً للمنكر، ومقاومةً للباطل، وإعادةً للحكم إلى مساره الإسلامي الصحيح»⁽¹⁾.

- كان الحسين سلام الله عليه يدرك أن بني أمية لن يقفوا مكتوفي الأيدي إزاء التجائه إلى مكة واحتمائه بقدسية البلد الحرام، وهم الحريصون على بيعته، ومن المحتمل أن يقتحموا البلد الحرام في أي وقت، وينتهكوا حرمة القتال فيه.

أما الذي جعلهم يتأخرون عن مثل هذا الإجراء من شعبان إلى أن خرج الحسين عليه السلام من مكة في ذي الحجة سنة 60هـ، فيترجح أنه بسبب تهيئتهم من الإقدام على مثل ذلك الإجراء الخطير من أول وهلة، وبدون تهيئة فكرية وإعلامية للناس، كما أن المدة تلك كانت مدة روحية مقدسة (شهر رمضان والأشهر الحرم شوال وذو القعدة وذو الحجة)، ولم يكن بوسعهم اقتحام قدسية تلك الأشهر من أول يوم، وبدون تهيئة إعلامية سابقة.

غير أنه عليه السلام كان يدرك أن يومه من السلطة الأموية قادم، وأن المسألة مسألة وقت لمحاولة إجباره على البيعة باتخاذ كافة السبل، وسوف لن يحترموا الأماكن المقدسة إن تطلب الأمر ذلك، كما حدث لاحقاً عند

(1) الصلابي: الدولة الأموية 2/ 206.

قصف الكعبة بأحجار المنجنيق وتحريقها، وسيتعللون بـ(شقاق الحسين) لولي الأمر؛ لذلك بادر عليه السلام بالخروج من مكة؛ كي لا يتسبب في إراقة الدماء، واستحلال البلد الحرام، مع عدم وجود الناصر في مكة، وقد قال في ذلك: «لأن أُقتل خارجاً منها بشيرٍ أحبُّ إليَّ من أن أُقتل داخلاً منها بشير، وأيمُّ الله لو كنتُ في جُحْرِ هامةٍ⁽¹⁾ من هذه الهوام لاستخرجوني حتى يقضوا فيّ حاجتهم، والله ليعتدَّنَّ عليَّ كما اعتدَّتِ اليهودُ في السبت»⁽²⁾.

- ويظهر أنه كان قد اقتنع بالتوجُّه إلى الكوفة باعتباره أفضل الخيارات الصعبة والمتاحة، ولا سيما بعد مجيء تقرير سفيره إليها (مسلم بن عقيل) يستحثه على القدوم، وأن الأمر قد أصبح موافقاً مع بيعة أناس كثيرين⁽³⁾ يمكن أن يناط بهم عملية التغيير، كان عليه السلام يرى أنه لا بد من عملية فدائية تعيد الأمة إلى وعيها الصحيح، ولو عبر صدمة وجدانية عميقة، تفضي إلى مراجعة واقعها الفكري والسياسي والتشريعي.

(1) الهامة: الحشرة من هوام الأرض. والجُحْر: الحفرة التي تأوي إليها الهوام. (إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط 1/334، 366).

(2) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/295 - 296، وابن الأثير: الكامل 2/161.

(3) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/301.

-وقد رُوِيَ أن ابن زياد لما ضُمَّت له الكوفة، وقدم إليها من البصرة برفقة بعض أصحابه، تساقط كثيرٌ من هؤلاء الرفقة في الطريق؛ إذ كانوا ممن يؤيدون ثورة الحسين عليه السلام، كما أن ابن زياد كان كلما مرَّ على نقطة من النقاط الأمنية (المسالخ) - لم يشكوا أنه الحسين عليه السلام؛ فكانوا يقولون له: مرحبا يا ابن رسول الله، بل حتى والي الكوفة هو الآخر عندما طرَّق ابنُ زياد دارَ الإمارة لم يشكَّ في أنه الحسين عليه السلام، وكان يناشده التَّنحِّي، ثم تبين له بعدُ أنه ابن زياد لا الحسين عليه السلام⁽¹⁾، وهذا يشير بوضوح إلى الحالة الثورية السائدة في الكوفة، والتي تشير إلى أن تحركات أنصار الحسين فيها كانت على وشك الانتصار، لولا أن ابن زياد استطاع إبطال تلك التحركات الثورية بتنفيذ ثورة مضادة من خلال وضع تدابير أمنية حازمة وقاسية، ومن خلال إجراءات اقتصادية، وبث إشاعات إعلامية، وفرض عقوبات بدنية ومالية ومعنوية.

وبهذا العرض تبين أن هناك من الظروف والعوامل والأسباب ما كان كافيا لكل حر ولكل إنسان - دع عنك سيد شهداء أهل الجنة - أن يثور ضد أولئك الطغاة لإسقاطهم، وأن أولئك الذين خذلوه أخطأوا التقدير

(1) الطبري: تاريخ الأمم والملوك 3/ 281 - 282، والنويري: نهاية الأرب 5/ 428.

لحسابات الدين، والمصير، وغفلوا عن فداحة موقفهم المتخاذل تجاه
أقدس ثورة كان يجب أن يكونوا جزءا منها.

الخاتمة

تبين من خلال ما سبق أن المصادر المختلفة أجمعت على سوء شخصية يزيد، وأنه زاد سوء أبيه ونظامه بلة، بل وكشفت أحداثه في كربلاء والحرّة وحرّق الكعبة عن انحرافٍ خطير وكبير عن الإسلام، في عصرٍ قريبٍ جدا من العهد النبوي وما امتاز به من طهارةٍ والتزامٍ مثالي.

كما اتضح أن أخذ معاوية البيعة بولاية العهد ليزيد ابنه في حياته، وقع في ظل ظروفٍ الترغيب والترهيب، وبعد أن أزاح من طريقه كثيرا من الخصوم بتنفيذه ما يسمى بـ(الاغتيال السياسي)، وأن تلك الظروف شكلت قوة ضاغطةٍ لكتف أي صوت معارض، وعليه فلم تكن هناك أية جدوائية حقيقية ولا قوة شرعيةٍ لبيعةٍ أُخذتُ بالمال من جهة، وبالسيف من جهةٍ أخرى، كما اتضح أن يزيد نفسه لم يكن جديرا حتى بأهون وأدنى الوظائف العامة، لا سيما في عهدٍ كان فيه رجالٌ مثل سيد شهداء أهل الجنة الإمام الحسين بن علي عليه السلام.

لقد انطلق الإمام الحسين في ثورته من مقامه العظيم في الإسلام، وما ورد في فضله من نصوصٍ شرعيةٍ، ثم ما دلّ عليه منطق التاريخ والتجارب الإنسانية - كافٍ في الحكم بأن تلك الثورة الحسينية كانت من صميم الواجب الشرعي والعقلي، وأن شخصا مثل الحسين عليه السلام فضلا

وخلقا ومؤهلات جدير بأن يكون قائد ثورة عظيمة وضرورية ومهمة مثل ثورة عاشوراء، التي باتت مصباحاً أدياً لإضاءة النور في جميع العتمة المتعاقبة.

كما تبين أن عناصر عديدة وهائلة من الظروف والعوامل والأسباب توفرت، وكانت كافية وموجبة على كل حُرٍّ - دع عنك سيدَ شهداء أهل الجنة - أن يثور ضد أولئك الطغاة لإسقاطهم، وإلحاق الحق، وإزهاق الباطل؛ الأمر الذي بيّن خطأ المتخاذلين في التقدير لحسابات الدين، والمصير، وكشف غفلتهم عن فداحة نتائج موقفهم، كما تبين أن انحذار الأمة إلى ذلك المهوى السحيق متمثلاً في قتل أبناء الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الأمرين بالمعروف والناهيين عن المنكر على ذلك النحو كان مؤشراً على مدى فداحة الانحراف المبكر في السياسة والثقافة والفكر، وهو ما يجب أن يعيه الإنسان المسلم اليوم، وهو يخوض صراع الحق والباطل، ومعركة الظلمات والنور.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

1. الآبي، منصور بن الحسين ، أبو سعيد (ت422هـ): نثر الدر، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
- ابن الأثير، علي بن محمد ، أبو الحسن الشيباني (ت630هـ):
2. أسد الغابة في معرفة الصحابة، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.
3. الكامل في التاريخ، ط4، 1427هـ/ 2007م، دار الكتب العلمية - بيروت.
- الأصفهاني، علي بن الحسين، أبو الفرج (ت356هـ):
4. مقاتل الطالبين، تحقيق / السيد أحمد صقر، ط3، 1419هـ/ 1998م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.
5. الأغاني، تحقيق/ سمير جابر، ط2، (د.ت)، دار الفكر - بيروت.
- البخاري، محمد بن إسماعيل، أبو عبد الله (ت256هـ):
6. الأدب المفرد ، تحقيق/ محمد فؤاد عبد الباقي، ط3، 1409هـ/ 1989م، دار البشائر الإسلامية - بيروت.
7. الجامع الصحيح، تحقيق/ مصطفى ديب البغا، ط3، 1407هـ/ 1987م، دار ابن كثير واليامة - بيروت.

8. البكري، عبدالله بن عبدالعزيز، أبو عبيد الأندلسي (ت487هـ):
معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق/ مصطفى السقا،
ط3، 1403هـ، عالم الكتب - بيروت.
- البلاذري، أحمد بن يحيى بن جابر، أبو جعفر البغدادي (ت279هـ):
9. أنساب الأشراف، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
10. فتوح البلدان، ط1979م، مطبعة لجنة البيان العربي - القاهرة.
11. البيهقي، أحمد بن الحسين، أبو بكر (ت458هـ): السنن الكبرى،
تحقيق/ محمد عبدالقادر عطا، ط1414هـ/ 1994م، مكتبة دار الباز -
مكة المكرمة.
12. الترمذي، محمد بن عيسى، أبو عيسى (ت279هـ): السنن،
تحقيق/ أحمد محمد شاكر وآخرين، (د.ط)(د.ت)، دار إحياء التراث
العربي - بيروت.
13. التوحيدي، علي بن محمد، أبو حيان البغدادي (ت380هـ): البصائر
والذخائر، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
14. الجاحظ، عمرو بن بحر، أبو عثمان (ت255هـ): البيان والتبيين،
تحقيق/ فوزي عطوي، ط1، 1968، دار صعب - بيروت.

15. ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، أبو الفرج الحنبلي (ت 597هـ):
المنتظم في تواريخ الملوك والأمم، ط 1، 1358هـ، دار صادر - بيروت.
16. الحاكم، محمد بن عبد الله، أبو عبد الله النيسابوري (ت 405هـ):
المستدرک علی الصحیحین، تحقیق / مصطفى عبدالقادر عطا، ط 1،
1411هـ / 1990م، دار الكتب العلمية - بيروت.
17. ابن حبان، محمد بن حبان، أبو حاتم التميمي البستي (ت 354هـ):
صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تحقيق / شعيب الأرنؤوط، ط 2،
1414هـ / 1993م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
- ابن حجر، أحمد بن علي، أبو الفضل العسقلاني (ت 852هـ):
18. الإصابة في تمييز الصحابة، تحقيق / علي محمد البجاوي، ط 1،
1412هـ، دار الجيل - بيروت.
19. تقريب التهذيب، تحقيق / محمد عوامة، ط 1، 1406هـ / 1986م،
دار الرشيد - سوريا.
20. لسان الميزان، تحقيق / دائرة المعارف النظامية (الهند)، ط 3،
1406هـ / 1986م، مؤسسة الأعلمي - بيروت.

21. ابن أبي الحديد، عبدالحميد بن هبة الله المعتزلي، أبو حامد(ت655هـ): شرح نهج البلاغة، تحقيق/ حسن تميم، (د.ط)، 1963م، منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.
22. ابن حنبل، أحمد بن محمد بن حنبل، أبو عبد الله (ت241هـ): المسند، (د.ط)(د.ت)، مؤسسة قرطبة - القاهرة.
23. أبو حنيفة الدينوري، أحمد بن داود (ت281هـ): الأخبار الطوال، ترقيم موافق للمطبوع، موقع يعسوب، المكتبة الشاملة.
24. الخطابي، أحمد بن محمد، أبو سليمان البستي (ت388هـ): غريب الحديث، تحقيق/ عبدالكريم إبراهيم الغرباوي، ط1402هـ، جامعة أم القرى - مكة المكرمة.
25. الخطيب البغدادي، أحمد بن علي ، أبو بكر(ت463هـ): تاريخ بغداد، (د.ط)(د.ت)، دار الكتب العلمية - بيروت.
26. خليفة بن خياط ، أبو عمرو العصفري (ت240هـ): التاريخ، تحقيق/ أكرم ضياء العمري، ط2، 1397هـ، دار القلم - دمشق، ومؤسسة الرسالة - بيروت.
27. الذهبي، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز (ت748هـ): تاريخ الإسلام، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.

28. الزمخشري، محمود بن عمر، جار الله (ت 638هـ): ربيع الأبرار، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
29. ابن سعد، محمد بن سعد الزهري البصري (ت 230هـ): الطبقات الكبرى، (د.ط)(د.ت)، دار صادر - بيروت.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين (ت 911هـ):
30. تاريخ الخلفاء، تحقيق / محمد محيي الدين عبد الحميد، ط1، 1371هـ / 1952م، مطبعة السعادة - مصر.
31. الجامع الكبير، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.
32. ابن الشجري، هبة الله بن علي، أبو السعادات (ت 542هـ): الأمالي، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
33. ابن أبي شيبة، عبدالله بن محمد، أبو بكر الكوفي (ت 235هـ): المصنف في الأحاديث والآثار، تحقيق / كمال يوسف الحوت، ط1، 1409هـ، مكتبة الرشد - الرياض.
34. ابن طباطبا، محمد بن علي، ابن الطقطقا (ت بعد 701هـ): الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، (د.ط)(د.ت)، دار صادر - بيروت.

35. الطبراني، سليمان بن أحمد، أبو القاسم الشامي (ت360هـ):
المعجم الكبير، تحقيق/ حمدي بن عبد المجيد السلفي، ط2،
1404هـ/ 1983م، مكتبة العلوم والحكم - الموصل.
36. الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر (ت310هـ): تاريخ الأمم
والملوك، ط1، 1407هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
37. ابن طيفور، أحمد بن أبي طاهر، أبو الفضل الخراساني (ت280هـ):
بلاغات النساء، ط1، 1987م - دار الكتب العلمية - بيروت.
38. ابن عبدالبر، يوسف بن عبدالله، أبو عمر النمري القرطبي
(ت463هـ): الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي البجاوي، ط1،
1412هـ/ 1992م، دار الجيل - بيروت.
39. ابن عبدربه، أحمد بن محمد، أبو عمر الأندلسي (ت328هـ): العقد
الفريد، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
40. ابن العديم، عمر بن مجد الدين أحمد، أبو حفص العقيلي
(ت660هـ): بغية الطلب في تاريخ حلب، ترقيم آلي، موقع الوراق،
المكتبة الشاملة.

41. ابن عساكر، علي بن الحسن ، أبو القاسم الشافعي (ت 571هـ):
تاريخ مدينة دمشق، تحقيق/ علي شيري، (د.ط)(د.ت)، دار الفكر-
بيروت.
42. العسكري، الحسن بن عبدالله، أبو هلال (ت 395هـ): كتاب
الأوائل، ط1، 1417هـ، دار الكتب العلمية - بيروت.
43. ابن قتيبة، عبدالله بن مسلم، أبو محمد الدينوري (ت 276هـ): عيون
الأخبار، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
44. ابن كثير: إسماعيل بن عمر ، أبو الفداء (ت 774هـ): البداية والنهاية،
(د.ط)(د.ت)، مكتبة المعارف - بيروت.
45. ابن ماجة، محمد بن يزيد، أبو عبدالله (ت 273هـ): السنن، تحقيق/
محمد فؤاد عبد الباقي، (د.ط)(د.ت)، دار الفكر - بيروت.
46. المبرد، محمد بن يزيد، أبو العباس (ت 285هـ): الكامل في اللغة
والأدب، (د.ط)، نشر مؤسسة المعارف - بيروت.
47. مجهول - من القرن الثالث الهجري :- أخبار الدولة العباسية،
تحقيق/ عبدالعزيز الدوري، وعبدالجبار المطلبي، (د.ط)(د.ت)، دار
الطليلة - بيروت.

48. المزي، يوسف بن الزكي عبدالرحمن، أبو الحجاج (ت774هـ): تهذيب الكمال في أسماء الرجال، تحقيق/ بشار عواد معروف، ط1، 1400هـ/ 1980م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
49. المسعودي، علي بن الحسين، أبو الحسن (ت 346هـ): مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق/ محمد محيي الدين عبدالحميد، ط5، 1393هـ/ 1973م، دار الفكر - بيروت. وقد رجعت إلى نسخة أخرى هي مروج الذهب، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
50. مسلم بن الحجاج النيسابوري، أبو الحسين القشيري (ت261هـ): الصحيح، تحقيق/ محمد فؤاد عبدالباقي، (د.ط)(د.ت)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
51. النسائي، أحمد بن شعيب، أبو عبد الرحمن (ت303هـ): السنن الكبرى، تحقيق/ عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، ط1، 1411هـ/ 1991م، دار الكتب العلمية - بيروت.
52. النويري، أحمد بن عبدالوهاب، شهاب الدين القرشي (ت733هـ): نهاية الأرب في فنون الأدب، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
53. ابن هشام، عبدالملك بن هشام، أبو محمد الحميري (ت218هـ): السيرة النبوية، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.

- ياقوت بن عبد الله الحموي، أبو عبد الله (ت 626هـ):
54. معجم البلدان، (د.ط)(د.ت)، دار الفكر-بيروت.
55. معجم الأدياء، ترقيم آلي، موقع الوراق، المكتبة الشاملة.
56. اليعقوبي، أحمد بن أبي يعقوب موسى بن واضح (ت 279هـ):
التاريخ، (د.ط)(د.ت)، دار صادر-بيروت.
57. أبو يعلى، أحمد بن علي الموصلي (ت 307هـ): المسند، تحقيق/
حسين سليم أسد، ط 1، 1404هـ/ 1984م، دار المأمون للتراث - دمشق.

ثانياً: المراجع

58. إبراهيم مصطفى وآخرون: المعجم الوسيط، تحقيق مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط المكتبة الشاملة.
59. الألباني، محمد ناصر الدين: السلسلة الصحيحة، برنامج منظومة التحقيقات الحديثة، مركز نور الإسلام لأبحاث القرآن والسنة بالإسكندرية، المكتبة الشاملة.
60. الأهنومي، حمود عبدالله: قراءة شرعية وتاريخية في صلح الإمام الحسن، بحث غير منشور.
61. بيضون، إبراهيم: ملامح التيارات السياسية في القرن الأول الهجري، ط 1979م، دار النهضة - بيروت.

62. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.
63. حمادة، محمد ماهر: الوثائق السياسية والإدارية العائدة للعصر الأموي (40هـ/661م - 132هـ/750م)، ط3، 1403هـ/1983م، مؤسسة الرسالة ودار النفائس - بيروت.
64. الدوري، عبدالعزيز: مقدمة في الاقتصاد العربي، ط4، 1982م، دار الطليعة - بيروت.
65. الصلابي، علي بن محمد: الدولة الأموية، ترقيم آلي، المكتبة الشاملة.
66. سيد قطب: العدالة الاجتماعية في الإسلام، الطبعة الشرعية التاسعة، 1403هـ/1983م، دار الشروق - القاهرة.
67. العلي، صالح أحمد: الحجاز في صدر الإسلام، ط1، 1410هـ/1990م، مؤسسة الرسالة - بيروت.
68. الغزالي، محمد: الإسلام والاستبداد السياسي، ط1، 1424هـ/2003م، دار القلم - دمشق.
69. المؤيدي، مجد الدين بن محمد: لوامع الأنوار، ترقيم آلي، المكتبة الزيدية الشاملة.

70. النجار، محمد الطيب: تاريخ العالم الإسلامي، الدولة الأموية في الشرق، ط 1406هـ / 1985م، مكتبة المعارف - الرياض.

الفهرس

5 المقدمة
13 تمهيد: من استشهاد الإمام علي إلى صلح الإمام الحسن
22 الفصل الأول: يزيد وولاية عهده
22 نبذة عن يزيد بن معاوية
30 الظروف والملابسة لأخذ ولاية العهد ليزيد
62 إجراءات يزيد في بيعته بالخلافة
68 الفصل الثاني: ثورة الإمام الحسين على يزيد
68 نبذة عن الإمام الحسين بن علي عليهما السلام
77 أسباب ومنطلقات خروج الإمام الحسين على يزيد
116 الخاتمة
118 قائمة المصادر والمراجع
129 الفهرس

الإمام الحسين «ع» انطلق من مقامه الإيماني والأخلاقي العظيم فيما هو عليه من كمال الإيمان ، من التمثُّل الحق لمبادئ الإسلام وأخلاق الإسلام ، وقيم الإسلام ، الإمام الحسين «ع» الذي بلغ أرقى درجات الإيمان وكماله في ما عبّر عنه الرسول صلوات الله عليه وعلى آله وسلم حينما قال عنه وعن أخيه الحسن «ع» : (الحسنُ والحسينُ سيِّدا شباب أهل الجنة).

السيد القائد عبدالملك بدر الدين الحوثي:

خطاب ذكرى ثورة عاشوراء 1439هـ.



"إن ثورة الحسين عليه السلام حدثتُ تستطيع أن تربطه
بأي حدث في هذه الدنيا، تستطيع أن تستلهم منه العبرَ
والدروسَ أمام أيِّ من المتغيِّرات والأحداث في هذه الدنيا؛
لذا كان مدرسة، كان مدرسة مليئةً بالعبر، مليئةً
بالدروس لمن يَعتَبِرون، لمن يَفْقَهُون، لمن يعلمون".

الشهيد القائد السيد/ حسين بدر الدين الحوثي:

دروس من وحي عاشوراء

